المجلد التاسع والعشرون للعام ٢٠٢٥م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

# توظيف التراث التاريخي في شِعْرِ الْحُروبِ الصَّلِيبِيَّةِ

# Use of historical heritage in the poetic poetry

بقلم الدكتورة

## سارة إسماعيل عبدالمنعم

قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة جازان ـ المملكة العربية السعودية .

الترقيم الدولى/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الثاني من إصدار مارس ٢٠٢٥م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٥/٦٩٤٠م

# توظيف التراث التاريخي فِي شِعْرِ الْحُروبِ الصَّلِيبِيَّةِ

**سارة إسماعيل عبدالمنعم**

قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة جازان ـ المملكة العربية السعودية .

البريد الإلكتروني : sarahsara48@yahoo.com

**الملخص**

يعدُّ التَّاريخ أَهَمَّ عَناصِرِ التُّراثِ الَّذي اتَّجه إليه كثيرٌ مِنْ الشُّعَرَاءِ، وَعَمِلُوا عَلَى تَوْظِيْفِهِ فِي تَجارِبهم الشِّعريَّةِ، بعد أنْ أدركُوا أهميَّةَ إدخال التاريخ في بِنَاءِ القصيدَةِ، فالتَّاريخُ ما يلبثُ أنْ يُعيدَ نَفْسَهُ مِنْ جديدٍ، فعُصُورُ الظَّلامِ والْهَزِيْمَةِ في تاريخنا، تتبعُها عُصُورُ النُّورِ والنَّصرِ، لذلك ينبغي أولاً أن نُفرِّقَ بين مفهومين؛ هما قراءة التاريخ، والوعي بالتاريخ، فإذا كانت (قراءةُ التَّاريخِ) تسمحُ بمعرفة الوقائعِ والإلمامِ بالأحداث، وتُصوِّرُ ما جرى فيها كما هو تاريخيًّا، فإنَّ الوعي بالتاريخ يقتضي توظيفَ ثمرةِ هذه القراءة في تغيير الواقع، واستشراف المستقبل؛ لذلك عَكَفَ شُعراءُ الحروب الصَّليبيَّة علي حقائق التاريخ يستلهموا منه العِبَرَ والعِظَاتِ،وكأنَّهم يَهْدِفُونَ بِهَذَا التَّوظيفِ أن يهتفُوا بِأُمَّتهم: هذه مآثرُ أبائكم وأمجاد أجدادكم؛ فلا تُخزوهم، وكونوا لهم خلفًا، في مُواجهةِ أعداء الله .

**الكلمات المفتاحية**: الأحداث ، التاريخية ، الحروب ، الصليبية.

# Use of historical heritage in the poetic poetry

**Sarah Ismail Abdel Moneim**
**Department of Arabic Language - College of Arts and Humanities - Jazan University - Kingdom of Saudi Arabia.**
**Email: sarahsara48@yahoo.com**

**Abstract**

**History is the most important of the correspondence of the heritage to which many poets turned to, and they worked on his anorization in their poetic experiences, after they realized the importance of introducing history in the structure of the poem. It is a new one, so the pipes of darkness and the dignity in our history, followed by the yields of light and victory, so we should first differentiate between two concepts; They are reading history and awareness of history, and if (reading of history) allows the knowledge of facts and knowledge of events, and imagines what happened in it as it is historically, then awareness of history requires the use of the fruit of this reading in changing reality and foreseeing the future; Therefore, the poets of the Crusades worked on the facts of history, from which they are inspired by the lessons and sermons, as if they were aimed at this employment to chant their nation: these are the exploits of your fathers and the glorification of your ancestors; Do not be stored, and formed a successor to them, confronting the enemies of God**

**Keywords: events, historical, wars, crusade.**

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

لكُلِّ أُمَّةٍ تراثٌ تعتزُّ فيه وتفتخرُ، فِيهِ تُقاسُ حَضَارَتُهَا وأَصَالَتُهَا، وَبِهِ تتفاخَرُ على اَلأُمَمِ، إلى جانبِ دوره اَلْمُهمِّ في الحفَاظِ على اَلْهويَّةِ القَوميَّةِ، فهو بِمَثَابَةِ بَصْمَةٍ، تاريخيَّةٍ، اجتماعيَّةٍ، إنسانيَّةٍ، ثقافيَّةٍ، تتميَّزُ بها كُلُّ أُمَّةٍ عَنْ غيرها، وتستقي منه عاداتِها، وكُلَّ ما يُشكِّلُ وُجْدَانَها، ومنه تتوثَّقُ عَلاقَةُ الأَجْيَالِ اَلْمُتعاقِبَةِ، فالتُّراثُ هو اَلْمِنْبَرُ الحضاري الذي تلجأُ إليه الأُمَمُ، وإذا كانَ للتُّرَاثِ عَامَّةً تلك الأهميَّةُ فَإنَّ للتُّراثِ العربيِّ أهميَّةً خاصَّةً؛ لأنَّهُ يُشكِّلُ اَلْمَدَّ الثَّقافِي في الحِفَاظِ عَلَى اَلْهويَّةِ العربيَّةِ، بِحُكْمِ أَنَّها تَستَمِدُّ جُذُورَهَا مِنْ أَعْمَاقِ تَارِيْخِهَا اَلْمُرتَبِطِ بِمُفْرَداتِها وعناصرِهَا اَلْمُتجذِّرَةِ في أُصُولِهَا اَلْمُوَاكِبَةِ لِمَكَانَتِهَا بين اَلأُمَمِ؛ لِذَا فَإنَّ التُّراثَ لدينا يُمَثِّلُ استلهامًا للماضي اَلْمُشْرِقِ، وحِلْمًا بإعادَةِ نتَاجِهِ، وتتطلَّعُ مِنْ خلاله إلى مُستقبلٍ أَفْضَلَ؛ يوُاكِبُ طُمُوحَاتِ الأَجْيَالِ اَلْقَادِمَةِ، فالتُّراثُ هُوَ مَاضِيْنَا اَلْمَنْقُولُ لَنَا، واَلْمُعَبِّرُ عَنَّا، واَلْمُوجِّهُ لِسُلُوكِنَا، وَمِنْ هُنَا ينبغِي لَنَا أَنْ نُبْرِزَ مَفْهُوْمَ التُّرَاثِ في اَلْمَعَاجِمِ العربيَّةِ والأجنبيَّةِ؛ للوقُوفِ عَلَى مَعْنَاهُ اَلْمُعْجَمِي، الَّذِي نستمدُّ مِنْهُ دَلالَتَهُ الثَّقافيَّةَ والفِكْريَّةَ والأَدَبيَّةَ؛ لِذَا لَابُدَّ لَنَا مِنْ وَقْفَةٍ مَعَ معنى الكَلِمَةِ، وَتَطَوُّرِهَا ودُخُولِها وانْدِمَاجِهَا في مجالِ الدِّرَاسَاتِ الأدبيَّةِ والنَّقديَّةِ.

• أَوَّلًا: التُّرَاثُ فِي اللُّغَةِ:

**يقولُ صاحبُ الصِّحَاحِ:**"التَّراثُ هُو مَا وَرَّثَهُ الأَقْدَمُونَ لخَلَفِهم، والتَّاءُ في التُّراثِ أصلُهَا الواو، مِنْ وَرِثَ أَبَاهُ أو وَرِثَ الشَّيءَ مِنْ أَبِيْهِ، وتَوَارَثَ القَوْمُ الشَّيءَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ"(١)، ويقولُ **صاحبُ لسَانِ العَرَبِ:**"الورْثُ الوَرْثُ والإرْثُ والوِرَاثُ والإرَاث والتُّراثُ واحدٌ... والورِثُ والتُّراثُ واَلْمِيْرَاثُ: ماوُرِثَ، وقيلَ: الوِرْثُ

(١) الصِّحاح، للجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين،ط٤، ١٩٩٠م، (٢٩٥/١) مادة (ورث).

وَالْمِيرَاثُ في اَلْمَالِ والإِرْثُ في الحَسَبِ...(و) التُّراثُ ما يُخَلِّفُهُ الرَّجُلُ لِوَرَثَتِهِ، والتَّاءُ فِيْهَا بَدَلُ الوَاوِ"[١].

وفي **القَامُوسِ المُحِيْطِ**: "الإِرْثُ: اَلْمِيرَاثُ، الأَصْلُ، والأَمْرُ القَدِيمُ يَتَوَارَثُهُ اَلآخِرُ عَنْ الأَوَّلِ".[٢]

إِذَنْ معنَى التُّراثِ في اَلْمَعَاجِمِ العَرَبِيَّةِ يَدُوْرُ حَوْلَ مَعْنى مَا يُخَلِّفُهُ الرَّجُلُ لِوَرَثَتِهِ، كمعنى ظاهرٍ، ويخلقُ معنى خَفِي يَكْمُنُ في الأَذْهَانِ، وَهُوَ التَّوَاصُلُ والتَّلاحُمُ بينَ الأَجْيَالِ، حَيْثُ إِنَّ مَا يَتركُهُ كُلُّ رَجُلٍ لِوَرَثَتِهِ، يَخلقُ ذَلِكَ الانْدِمَاجَ بينَ الأَجْيَالِ، مِمَّا يَخلقُ تَرِكَةً جَماعيَّةً لَدَى كُلِّ فَرْدٍ، وَمَدَى اِرْتِبَاطِهِ بِالأَفْرَادِ الآخرين؛ مِمَّا يُكَوِّنُ في النِّهَايَةِ مَعْنَى تَلاحُمٍ وتَوَاصُلٍ وتلاقٍ بين الأجيالِ الغَابِرَةِ والأَجْيَالِ الآتيةَ، بينَ الأَجْيَالِ الحامِلَةِ لِهَذَا التُّراثِ بِمَا يَحتويه مِنْ مَعْنَاهُ اَلْمَادِّي، ومَا يَكْتَنِفُهُ أَيضًا مِنْ فِكْرٍ وَثَقَافَةٍ، وبينَ الأجيالِ اَلْمُتلقِّيَةِ لِهَذَا التُّرَاثِ، فَتَخْلُقُ فِكْرًا جَماعيًّا مُشتركًا مِنْ خِلالِ هَذَا التَّلاقِي.

ونجدُ معنى التُّراثِ وَرَدَ في الشِّعْرِ الجَاهِلِي، يقولُ عمرو بن كلثوم في معلقته:[بحر الوافر][٣].

**ورِثْنَا مَجْدَ عَلْقَمَةَ بنِ سَيْفٍ أَبَاحَ لنا حُصُوْنَ اَلْمَجْدِ دَيْنَا**

**ورِثْتُ مُهَلْهِلاً والخَيْرَ مِنْهُ زُهَيْراً نِعْمَ ذُخْرُ الذّاخِرِيْنا**

**وعَتّابَا وكُلْثُومًا جَمِيْعًا بِهِمْ نِلْنَا تُرَاثَ الأَكْرَمِيْنَا**

---

**(١) لسان العرب، ابن منظور ، دار الفكر، (٢/٢٠٠-٢٠١).مادة (ورث).**

**(٢) القاموس المحيط، للفيروز آبادي، دار الفكر، بيروت، (١٦/١) مادة (ورث).**

**(٣) انظر:شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لابن الأنباري، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، (ص٤٠٦)، وتاريخ الأدب الجاهلي، لعلي الجندي، دار التراث، القاهرة (معلقة عمرو بن كلثوم) (ص١٢٣).**

فَالوُرَاثَةُ جَاءَتْ هُنَا لِلْمَجْدِ والفَخْرِ والشَّجَاعَةِ، مِمَّا يُحَقِّقُ الكَلَامَ السَّابِقَ، بأنَّ التُّراثَ لَلْمَالِ وَمَا يَلْحَقُهُ مِنْ صِفَاتٍ وخَصَائِصَ وفِكْرٍ وثقافةٍ، فعمرو بن كلثوم حَاوَلَ أَنْ يَجْعَلَ اَلْمَجْدَ دِيْنًا يَلْحَقُهُ وَيَلْحَقُ السَّابقين لَهُ، وَسَيَلْحَقُ التَّالينَ لَهُ، وهَكَذَا تَحَقَّقَ اَلْوُرْثُ بِمَعْنَاهُ التَّوَاصُلِي والتَّلاحُمِي بَيْنَ اَلأَجْيَالِ في أَبْيَاتِهِ القَلِيْلَةِ.

وَقَدْ وَرَدَ مُصْطَلَحُ التُّرَاثِ فِي اَلْقُرْآنِ الكَرِيمِ، فَنَجِدُ قَوْلَهُ تَعَالَى:﴿ **وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلا لَمًّا** ﴾[1]، فَنَجِدُ دَلَالَتَهُ تُسْقَطُ عَلَى مَا كَانَ يَجري في الجاهِلِيَّةِ؛ مِنْ اغْتِصَابٍ وانْتِهاكٍ لِحُقُوقِ النِّسَاءِ وَالأَطْفَالِ. وَوَرَدَ أَيْضًا بِمَعنى اَلْمِيْرَاثِ اَلْمَعْنَوي في الفَضْلِ وَاَلْعِلْمِ في قولِهِ تَعَالى:﴿ **وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (*) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا**﴾[2].

وكَذَا جَاءَ بِمَعْنَى وِرَاثَةِ اَلْكِتَابِ اَلْمُقَدَّسِ، وَتَوَارَثِ اَلْعِلْمِ الدِّيني والعَقِيْدَةِ، إِذَنْ يُمْكِنُنَا اَلْقَوْلُ أَنَّ مَعْنَى التُّرَاثِ في القُرْآنِ اَلْكَرِيمِ هُوَ تَوَارُثُ العَادَاتِ والتَّقَالِيدِ- مِنْ هَضْمِ مِيْرَاثِ النِّسَاءِ وَالأَطْفَالِ – وَوِرَاثَةُ العِلْمِ والعَقِيْدَةِ والكِتَابِ اَلْمُقَدَّسِ، إِذَنْ فَهُوَ يَشْمَلُ التُّرَاثَ اَلْمَادِي، وَاَلْمَعْنَى اَلْمَعْنَوِي[3].وقد ورد أيضًا في الحديثِ النَّبويِّ الشَّريفِ لَفْظُ التُّراثِ قال ﷺ:«**إليك مآبي، ولك تراثي**»[4].

---

(١) سورة الفجر، آية: ١٩.

(٢) سورة مريم، الآيتان: ٥، ٦.

(٣) انظر: تفسير الطبري (جامع البيان)،للطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، (٤١٥/٢٤)، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ/١٩٩٤م،(ص٩١٦-٩١٧)، وأحكام التركات والمواريث في الشريعة الإسلامية والقانون، لأبي العينين بدران، طبعة مؤسسة شباب الجامعة الاسكندارية، مصر، (ص٧٢).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (١٨٦/١)، وجامع الأصول، لابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة دار البيان، بيروت، (٣٢٣/٤/حديث رقم:٢٣٣٣)، وكنز العمال، للهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٨٩م (٢٦٥/٢/حديث رقم: ٣٦٣٧).

**وَهَكَذَا يُمكنُ القَوْلُ أنَّ التُّراثَ كَمُصْطَلَحٍ كَثُرَتْ رَوَافِدُهُ وَاسْتِعْمَالُهُ، وغيرُ مَقْصُورٍ عَلَى مَعْنَى اَلْمِيراثِ الدَّرَاجِ، وإنَّما هُوَ أَشْمَلُ وَأَوْسَعُ؛ يَشْمَلُ النَّواحِي اَلْمَادِيَّةِ واَلْمَعْنَوِيَّةِ.**

وَيُمْكِنُ القَوْلُ إجمالَا أَنَّ اَلْمعنى اللُّغوي للتُّراثِ يَقتربُ مِنْ اَلْمَفهومِ الدِّلالي اَلْحَدِيثِ، حَيْثُ إنَّ معنى الإِرْثِ فيه تَوَاصُلٌ وتلاحمٌ بين الأجيال، وكأنَّ التُّراثَ دُعَامَةُ البَقَاءِ والاسْتِمْرَارِ لِلأُمَمِ تتلقَّاهُ كُلُّ أُمَّةٍ كَأَمَانَةٍ يتوارثه الطِّفْلُ في مَهْدِهِ؛ من خلالِ عاداتٍ وتقاليدَ يُربَّى عليها، هي بالضَّرورةِ جُزْءٌ مِنْ التُّراثِ اَلْمَعْنوي، وهكذَا ينتقِلُ اَلتُّراثُ مِنْ اَلْمَاضِي إِلى الحَاضِرِ، ويَسْرِي حتي يُكوِّنَ بِنَاءً مَشيدًا نتنقلُ بـه، ومن خلالِهِ إِلى نُقْطَةٍ إبداعيَّةٍ، يتحقَّقُ فِيها عُنْصُرَي التُّراثِ والحَدَاثَةِ، وَهَذَا مَا يُمكنُ أَنْ نَستسقيه من اَلْمَعنى اللُّغوِي للتُّراثِ.

- مفهومُ التُّرَاثُ في الاصطلاحِ الحديثِ:

التُّراثُ في الاصْطِلاَحِ اَلْحَدِيْثِ، تعدَّدَتْ الآرَاءُ، بَلْ اِخْتَلَفَ البّاحِثُونَ حَوْلَ تعريفه أَوَّلًا، وتَحديدِ مُقوِّمَاتِه ثانيًا، وقد يكونُ مَرْجِعُ الخِلافِ اِخْتلافَ الرُّؤيَةِ لكُلٍّ منهم للتُّراثِ، فَلِكُلٍّ وجهةُ نَظَرٌ في التُّراث، ومَرجعيَّةٌ يستندُ إليها؛ في تحديدِ مفهومِهِ ومُقوِّمَاتِهِ، فمِنْهُم مَنْ يَرى التُّراثَ مِنْ زَاويَةٍ ضيِّقَةٍ؛ يَراهُ مُقدَّسًا يَجبُ النَّظَرُ إليه برهبَةٍ، ويرى أَنَّهُ غيرُ قابلٍ للتَّجديدِ أو التَّطويرِ، فَقَدْ حَوَى بِدَاخِلِه كُلَّ مُقوِّمَاتِ الاسْتمرَارِ، ويَجبُ أَنْ ينتقِلَ بينَ الأَجيالِ على تِلْكَ الصُّورَةِ اَلْمُقدَّسَةِ، وَبِنَاءً عليه فإنَّهُ يَفْصِلُهُ عَنْ وَاقِعِه فَصلًا تَامًّا، ومنهُمْ مَنْ تَوَاصلَ مَعَهُ وَوَعَاهُ وَوَظَّفَهُ في واقِعِهِ، وجدَّدَ فيه، فَأَضْفَى عليه مِنْ رُوْحِ اَلْحَدَاثَةِ، فَجَمَعَ بينَ اَلْحُسنيين؛ تَوَاصلَ مَعَ مَاضِيهُ من جِهَةٍ، وَوَظَّفَ تُرَاثَهُ مَعْ واقِعِه مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، فأصبحَ التُّراثُ واَلْحَدَاثَةُ عُنصرَيْنِ مُتَضَافِرين...وفي ذلك السِّياق هُنَاكَ سُؤالٌ يَجبُ طَرْحَهُ؛ وَهُوَ:مَا مَاهِيَّةُ التُّراثِ؟ وفي أيِّ شيءٍ يجبُ أَنْ نبحثَ عنه؟ وهل هذا اَلْمفهومُ ضَيِّقٌ، فيشملُ أشياءَ مُحدَّدةً بعينِهَا أَمْ أَنَّ اَلْمَفْهُومَ يتَّسِعُ لِكُلِّ مَا تَرَكَهُ لَنَا السَّلَفُ؟؟ وَيُمْكِنُ أَنْ نَتَلَمَّسَ اَلإِجَابَةَ في **مُعْجَمِ اَلْمُصْطَلَحَاتِ الأَدبيَّةِ في اللغة والأدب**، فنَجِدُ مَعْنَاهُ "مَا خَلَّفَه السَّلَفُ

مِنْ آثَارٍ عِلْمِيَّةٍ، وفَنِيَّةٍ، وأدبيَّةٍ ، مِمَّا يُعتبرُ نفيسًا بالنِّسبَةِ لِتَقَالِيدِ العَصْرِ الْحَاضِرِ وَرُوْحِهِ".(١)

إِذَنْ مَفهومُ التُّراثِ يشملُ جميعَ الْمَعَارِفِ الإِنْسَانيَّةِ، وهُوَ يتَّسِعُ لِيشْمَلَ كُلَّ التَّرِكَةِ الْمَادِيَّةِ والتَّرِكةَ الحَضَارِيَّةَ والاجتماعيَّةَ والإِنْسَانِيَّةَ، ويَضيقُ لِيَشْمَلَ مَا تَرَكَهُ الأَقْدَمُونَ، وامتدَّ أَثَرُهُ مِنْ عِلْمٍ وأدبٍ وحَضَارَةٍ، مَعَ احتفَاظِ التُّراثِ بِالإِطَارَيْنِ؛ الضَّيِّقِ والوَاسِعِ.

وإذا استعرَضْنَا آراءَ البَاحثينَ في التُّراثَ والْمَعْنِيِّين بِالأَمْرِ نَجِدُ مَفْهُومَ التُّراثِ كَمُصْطَلَحٍ يختلفُ حَسْبَ رؤْيَةِ كُلٍّ مِنْهُمْ للتُّرَاثِ، فَنَجِدُ **الدكتور زكي نجيب محمود** (ت١٩٩٣م) يقول :"إنَّ التُّراثَ هُوَ كُلُّ مَا تَصْنَعُهُ أَنْتَ، فَالتُّراثُ كُتُبٌ وفُنُونٌ، وغيرُ ذَلِكَ؛ مِنْ هَذَا الْجِسْمِ الْمكتوبِ الْمَوْرُوثِ، لَكِنَّك سَتقرأهُ؛ لِتَسْتَخْرِجَ مِنْهُ مَا تَستطيعُ بوجْهَةِ النَّظَرِ التي تُريدُهَا أَنْتَ، دُوْنَ أَنْ يَفرضَ نَفْسَهُ عَلَيْكَ.أَمَّا مِنْ حَيْثُ أَيْنَ التُّراثُ ؟ فهو في الْمكتبَاتِ، ولَكَ أَنْ تَقْرَأَ الْجَانِبَ الَّذِي تُرِيْدُهُ...، فالنَّصُّ هُوَ مَا تَقْرَأُهُ أَنْتَ، ولَيْسَ قَالبًا حديديًّا، فَإِذَا وَاجَهَتْنَا اليومَ ضُرُوبٌ جديدَةٌ مِنْ الْمُشْكِلَاتِ فَلابُدَّ أَنْ أَقرأَ التُّراثَ قِرَاءَةً تتناسَبُ مَعَهَا وَمَعَ الْعَصْرِ"(٢)، فَقَدْ أَوْجَزَ نَظْرَتَهُ للتُّراثِ، وتحديدِهِ، ومكَانِتِهِ، وكيفيَّةِ قِرَاءَةِ التُّراثِ قِرَاءَةً تَتَنَاسَبُ مَعَ رُوْحِ الْعَصْرِ وَمُجَدِّدَةً له، ومُتناسِبَةً مَعَهُ.

**ويَتَبَنَّى دكتور عبد المجيد دياب (ت١٩٨٣م) وُجْهَةَ نَظَرٍ خَاصَّةٍ في بَيَانَ الْحُدُودِ الزَّمنيَّةِ للتُّرَاثِ قَائلًا:"لَيْسَ هُنَاكَ حُدُوْدٌ مُعيَّنَةٌ لِتَارِيْخٍ؛ أي: تُرَاثٍ كَانَ، فَكُلُّ مَا خَلَّفَهُ الْمُؤلِّفُ بَعْدَ حَيَاتِهِ مِنْ نِتَاجٍ يُعدُّ تُرَاثًا فِكْرِيًّا، وَلَقَدْ أَصْبَحَ شِعْرُ شَوْقِي، وَحَافِظٍ، وَحديثُ عيسى بنِ هِشَامٍ، وآثَارُ العَقَّادِ، والْمَازِني، تُرَاثًا لَهُ حُرْمَتُهُ التَّاريخيَّةُ، ولَهُ قَدْرُهُ الأَثَرِيُّ".(٣)**

---

(١) مُعْجَمُ الْمُصْطَلَحَاتِ الأَدبيَّةِ في اللغة والأدب، مجدي وهبه،وزميله، مكتبة لبنان، بيروت،١٩٩٣م، (ص٩٣).

(٢) مجلة فصول مجلد (١) عدد (١)، أكتوبر، ١٩٨٠م، ندوة العدد (موقفنا من التراث) (ص٣٢ – ٣٨).

(٣) تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، عبد المجيد دياب، منشورات سمير أبو داود، المركز العربي للصحافة، القاهرة، ١٩٨٣م، (ص١٠،٩).

بينمَا يُحدِّدُ دكتور **أحمد هيكل** (ت٢٠٠٦م) التُّراثَ بَأَنَّــهُ" كَمَــا تَعْرِفُــهُ كُــلُّ اَلْحَضَارَاتِ إِنَّمَا هُوَ اَلْمَوْرُوْثُ، أَوْ جَمِيْعُ مَا خَلَّفَهُ اَلْمَاضِي اَلْعَربيُّ اَلتَّلِيْــدُ، لِلْحَاضِــرِ العربِّي اَلْجَدِيْدِ".(١)إذن فهُوَ يَرَى في التُّراثِ مَفْهُوْمًا واسعًا، يَختلِــفُ وِفْقًــا لِلرُّؤْيَــةِ اَلْفِكْرِيَّةِ لِلنَّاظِرِ إِلَيْهِ، ولَكِن يضيقُ هَذَا اَلْمَفْهُومُ في إِطَارِ أَنَّهُ كُلُّ مَا أُنْتِجَ سَابِقًا.ونجدُ **الدكتور محمدعابد الجابري** (ت٢٠١٠م)–وهُوَ مِنْ اَلْمُهتمِّين بالتُّراثِ اِهْتمامًا خَاصًّا – يُحدِّدُ مَفْهومَ التُّراثِ وَتَطوَّرَ مَعْنَاهُ فيقولُ:"إنَّ لَفْظَ التُّراثُ قَدْ اِكْتسَى في اَلْخِطَابِ العربي الحديثِ واَلْمُعَاصِرِ معنىً مُختلفًا مُباينًا، إِنْ لَمْ يَكُنْ مُنَاقِضًا لِمَعْنَى مُرَادِفِه (اَلْمِيْــرَاثِ) في الاصْطِلاحِ القَديمِ، ذلك أَنَّهُ بينما يفيدُ لَفْظُ اَلْميراثِ التَّركَةَ التي تُوزَّعُ عَلَى اَلْوَرَثَةِ، أو نَصِيْبَ كُلٍّ مِنْهُمْ فِيْهَا، أَصْبَحَ لَفْظُ (التُّراثِ) يُشيرُ اليَوْم إلى مَا هُــوَ مُشْــتركٌ بــينَ العَرَبِ؛ أي: إِلى التَّركَةِ الفِكْرِيَّةِ والرُّوحيَّةِ التي تَجمَعُ بينَهُمْ؛ لِتَجْعَلَ مِنْهُمْ جَميعًا خَلَفًــا لَسَلَفٍ".(٢)

وَنَجِدُهُ يُحَاولُ أَنْ يَجِدَ حُدُودًا زَمنيَّةً لِلتُّراثِ؛ فيقولُ:"إنَّ اَلْمَقصودَ بِالتُّراثِ كَمَــا يَتَحَدَّدُ دَاخِلَ اَلْخِطَابِ النَّهْضَوِيِّ العربيِّ اَلْحَدِيْثِ واَلْمُعَاصِرِ، هُــوَ بِصُــورَةٍ أَسَاســيَّةٍ اَلْجَانِبُ الفِكْرِيُّ في اَلْحَضَارَةِ العَربيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ: العَقِيْدَةُ، والشَّريعَةُ، واللُّغَــةُ، والأَدَبُ، والفَنُّ، والكَلَامُ، والفَلْسَفَةُ، والتَّصَوُّفُ، وعَلَيْنَا أَنْ نُضِيْفَ اَلآنَ عِبَــارَةَ (قَبْــلَ عَصْــرِ اَلانْحِطَاطِ)، ولَكِن دُوْنَ تَحديدٍ دقيقٍ لِبِدَايَتِهِ، فَمِثْلُ هَذَا التَّحديدِ يَخْضَعُ فــي اَلْخِطَــابِ اَلْعَربي اَلْمُعَاصِرِ لِاعْتِبَارَاتٍ أَيْدُيولُوجيَّةٍ، فَالسَّلَفِي التَّقليدِي يَرَى أَنَّ اَلانْحِطَــاطَ اَلَّــذِي يَعْنِي عِنْدَهُ اَلانْحِرَافَ عَنْ سِيْرَةِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، بَدَأَ مِنْ ظُهُــورِ اَلْخَلَــفِ؛ أي: فــي السَّنَوَاتِ الأَخِيْرَةِ مِنْ خِلَافَةِ عُثْمانَ بِنْ عفَّانٍ، وَهُنَاكَ مِنْ السَّلَفيين اَلْمُتشدِّدين مَنْ يَحْصُرُ فترةَ السَّلَفِ الصَّالِحِ في عَهْدِ النُّبُوَّةِ وَحْدَهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ أَكْثَرُ تَفَتُّحًا فيجعلَها مُرتبطَةً بِاَلْخُلَفَاءِ اَلصَّالِحِيْنَ، دونَ تَقَيُّدٍ بعصرٍ مُعيَّنٍ، أَمَّا السَّــلفيُّونَ اَلْجُــدُدُ، والعَصْــرَانِيُّونَ،

(١) دراسات أدبية، أحمد هيكل، دارالمعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧١م، (ص٣١).

(٢) التراث والحداثة دراسات ومناقشات، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربيــة، بيروت،١٩٩١م، (ص٢٤).

والقَوْمِيُّونَ، فَقَدْ يَتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ عَصْرَ الانْحِطَاطِ قَدْ بَدَأَ عَمَلِيًّا مَعَ دُخُولِ الْحَضَارَةِ العربيَّةِ الإِسْلامِيَّةِ، في مَرْحَلَةِ التَّراجُعِ، اِنْطِلَاقًا مِنْ هُجُومِ التَّتَرِ، ثُمَّ سُقُوطِ الأَنْدَلُسِ ثُمَّ قِيَامِ الإِمْبِرَاطُورِيَّةِ العُثْمَانِيَّةُ، ومَا يَهُمُّنَا مِنْ كُلِّ ذَلِكَ هُوَ اِتِّفَاقُ الْجَمِيْعِ على أَنَّ التُّرَاثَ هُوَ نِتَاجُ فَتْرَةٍ زَمَنِيَّةٍ تَقَعُ في الْمَاضِي، وتَفْصِلُهَا عَنْ الْحَاضِرِ مَسَافَةٌ زَمَنِيَّةٌ"[1].

**وقال د. فاروق خورشيد في تعريفِ التُّراثِ أيضًا:"كُلُّ مَا هُوَ مُتَوَارَثٌ، بِمَا يَحْوِي مِنْ الْمَوْرُوْثِ القَوْلِي، أَوْ الْمُمَارَسِ أو الْمَكْتُوب، إِضَافَةً إِلَى الْعَادَاتِ والتَّقَالِيدِ والطُّقُوسِ، والْمُمَارَسَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ التي أَبْدَعَهَا الضَّمِيرُ العربيُّ، أو الْعَطَاءُ الْجَمْعِي للإِنْسَانِ العربي قَبْلَ الإِسْلَامِ وبَعْدَه".[2] وَهُوَ أَيْضًا:"الْمَخزُونُ النَّفْسِي الْمُتراكمُ مِنْ الْمَوروثَاتِ بِأَنْوَاعِهَا في تَفَاعُلِهِ مَعَ الْوَاقِعِ الْحَاضِرِ، أو هُوَ الْحَصِيْلَةُ الثَّقافيَّةُ التي تتبلْورُ فِيْهَا ثَقَافَةُ وخِبْرَاتُ وَحِكْمَةُ شَعْبٍ. والتُّراثُ لَيْسَ كَيَاناً مَعْنَوِيًّا مُنْعَزِلاً عَنْ الوَاقِعِ، بَلْ هُو جُزْءٌ مِنْ مُكَوَّنَاتِ الوَاقِعِ، يُوجِّهُ سُلُوكَ الإِنْسَانِ في حَيَاتِهِ اليَومِيَّةِ".[3]**

وَلابُدَّ في هَذَا الْمَقَامِ مِنْ طَرْحِ إِشْكَالِيَّةٍ تُعَارِضُ التُّراثَ مَعَ الْحَدَاثَةِ، فَقَدْ تَعَدَّدَتْ الآرَاءُ وَالاخْتِلَافَاتُ حَوْلَهَا؛ اِنْطِلاقًا مِنْ أَنَّ قَضِيَّةَ التُّرَاثِ تَتَلَخَّصُ رُؤَى النَّاظِرِين إِلَيْهَا في ثَلَاثَةِ مَوَاقِفَ[4]:

---

(١) التراث والحداثة دراسات ومناقشات، لمحمد عابد الجابري (ص٣٠).

(٢) الموروث الشعبي، دار الشروق، لفاروق خورشيد، القاهرة، ١٩٩٢م،(ص٢٢-٢٣).

(٣) التراث والتجديد، لحسن حنفي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٧م،(ص١٢). وانظر: توظيف الموروث الجاهلي في الشعر العربي المعاصر، لأحمد زهير رحاحلة، دار البيروني للنشر والتوزيع،عمان، ٢٠٠٨م، (ص١٧)، والتراث العربي، لعبد السلام هارون، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت، د.ت(ص١٢٨).

(٤) انظر: بحثًا عن التراث العربي، لرفعت سلام، دار الفارابي، بيروت،١٩٨٩م، (ص١٦) وما بعدها، ومن التراث إلى الثورة، للطيب تزيني، دار ابن خلدون، ١٩٧٨م، (ص٧٤)، ونحن والتراث، لمحمد عابد الجابري، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٣م، (ص١٣) ، ونظرية التراث ودراسات عربية وإسلامية أخرى، لفهمي جدعان، دار الشروق، عمان، ١٩٨٥م، (ص١٧-١٩).

-**اَلْمَوْقِفُ اَلأَوَّلُ:** اَلرَّافِضُ للتُّرَاثِ بِرُمَّتِهِ؛ مِنْ مُنْطَلَقِ الثَّوْرَةِ عَلَى كُلِّ مَا هُوَ قَدِيْمٌ، وَأَصْحَابُ هَذَا اَلْمَنْهَجِ **هُمْ اَلاشْتِرَاكِيُّونَ غَالِبًا**.

-**اَلْمَوْقِفُ اَلثَّانِي:**يتمَثَّلُ في **اَلْمَوْقِفِ السَّلَفِي**، وَهُوَ مَوْقِفٌ مُتَحَجِّرُ اَلْفِكْرِ، يَدْعُو إلى اَلْجُمُودِ عِنْدَ التُّرَاثِ، والاكْتِفَاءِ بِهِ كَتُرَاثٍ، وَعَدَمِ اَلْحِيَادِ عَنْهُ قَيْدَ أَنْمُلَةٍ، وَتَقْدِيْسِ هَذَا التُّرَاثِ كَمًّا وَكَيْفًا، دُوْنَ تَدْقِيْقٍ أَوْ تَمْحِيْصٍ.

-**اَلْمَوْقِفُ اَلثَّالِثُ:** مَوْقِفٌ اِنْتِقَائِيٌّ اِخْتِيَارِيٌّ، وَأَنْصَارُ هَذَا اَلْمَوْقِفِ يَعُوْنَ تَمَامًا أَنَّ كُلَّ تُرَاثٍ إِنْسَانِيٍّ يَضُمُّ في دَاخِلِهِ جَوَانِبَ سَالِبَةً وَأُخْرَى مُوْجِبَةً، وأَنَّ رُوْحَ اَلْعَصْرِ تَتَطَلَّبُ نَظْرَةً حَيَادِيَّةً في التُّرَاثِ، لِنَأْخُذَ النَّافِعَ مِنْهُ، وَنُسْقِطَ مِنْهُ مَا لَا يَتَنَاسَبُ وَرُوْحَ اَلْعَصْرِ، وَهُمْ بِذَلِكَ يَفْهَمُونَ أَنَّ اَلْمُعَاصَرَةَ تَعْنِي بِالضَّرُوْرَةِ اَلارْتِبَاطَ اَلْفِعْلِيَّ بِالظَّرْفِ اَلزَّمَانِي، واَلْمَكَانِي، ويُعَدُّ ذَلِكَ أَمْرًا في غَايَةِ الأَهَمِيَّةِ؛ أي: مَزَجَ بَيْنَ التُّرَاثِ واَلْمُعَاصَرَةِ.

وَمِمَّا يزيدُ هَذَا اَلْخِلَافَ ضَرَاوَةً اَلاعْتِرَاضُ عَلَى لَفْظِ اَلْحَدَاثَةِ ذَاتِهِ، فَقَدْ اِعْتَبَرَ اَلْكَثِيْرُ مِنْ اَلْمُفكِّرِين وَالأُدَبَاءِ اَلْمُؤمنين بِقُدْسِيَّةِ اَلتُّرَاثِ أَنَّ اَلْحَدَاثَةَ هِيَ صِنَاعَةٌ غَرْبِيَّةٌ، وَبِالتَّالي يَجِبُ أَلَّا تُقْرَنَ بِالتُّرَاثِ، فَالْحَدَاثَةُ تَدْخُلُ في إِطَارِ التَّبَعِيَّةِ لِلآخَرِينَ مَعْ أَنَّنَا لَوْ بَحَثْنَا عَنْ جُذُوْرِ كَلِمَةِ "حَدَاثَةٍ" نَجِدُهَا مُتَأَصِّلَةً لَدَيْنَا، فَمَفْهُومُ اَلْحَدَاثَةِ لَهُ جُذُوْرٌ مُتَأَصِّلَةٌ في اَلْمَعَاجِمِ العربية، ففي لِسَانِ اَلْعَرَبِ نَجِدُ "حَدَثَ: اَلْحَدِيْثُ: نَقِيْضُ اَلْقَدِيْمِ، وَاَلْحُدُوْثُ:نَقِيْضُ اَلْقِدَمَةِ..فَهُوَ مُحْدَثٌ وَحَدِيْثٌ. وَحَدَثَ اَلشَّيءُ يَحْدُثُ: حُدُوْثًا وَحَدَاثَةً"(١).

وَقَدْ حَاوَلَ **دكتور وليد ابراهيم قصَّاب**؛ طَرْحَ فِكْرَةِ التَّكَامُلِ بَيْنَ التُّرَاثِ واَلْحَدَاثَةِ، فَقَالَ:"إنَّ التُّراثَ العربيَّ لَيْسَ صَوْتًا وَاحِدًا، كَمَا أَنَّ اَلْمُعَاصَرَةَ كَذَلِكَ لَيْسَتْ صَوْتًا وَاحِدًا، ...إِنَّنا نُؤْمِنُ بِأَنَّ التُّراثَ وَحْدَهُ لَا يَصْنَعُ اَلْحَدَاثَةَ، كَمَا أَنَّ اَلْمُعَاصَرَةَ –

---

**(١) لسان العرب، (٦٥/٥) مادة (حدث). وانظر: التراث والحداثة، لمحمد عابد الجابري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – بيروت،١٩٩١م، (ص٧٨)، والمنهج والمصطلح: مدخل إلى أدب الحداثة، لخلدون الشمعة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق،١٩٧٩م، (ص١١٢).**

وَهِي في اَلظُّروفِ الرَّاهِنَةِ غَرْبِيَّةٌ – لا تَصْنَعُ اَلْحَدَاثَةَ، وَإِنَّمَا تُصْنَعُ اَلْحَدَاثَةُ اَلأَصْلِيَّةُ مِنْهُمَا مَعًا".(١)

أمَّا في **معجم المصطلحات الأدبية** فنجد كلمةَ «تُرَاث» يَتِمُّ تَنَاولُها بمعنى"مَا خَلَّفَهُ السَّلَفُ مِنْ آثَارٍ عِلْمِيَّةٍ وفَنِيَةٍ وأَدَبِيَّةٍ، مِمَّا يُعْتَبَرُ نَفِيسًا بِالنِّسْبَةِ لِتَقَالِيْدِ اَلْعَصْرِ اَلْحَاضِرِ وَرُوْحِهِ".(٢)

**إذَنْ يُمْكِنُ اَلْقَوْلُ إِجْمَالًا بَعْدَ هَذَا اَلْعَرْضِ اَلْمُوْجَزِ أَنَّ التُّرَاثَ جُزْءٌ مِنْ هَوِيَّةِ اَلأُمَّةِ، وَالْحَدَاثَةُ مُعَبِّرَةٌ عَنْ حَالِ اَلأُمَّةِ، وَلَابُدَّ مِنْ التَّكَامُلِ بَيْنَهُمَا؛ كَي نُشَكِّلَ وُجْدَانًا لِلأُمَّةِ، لأنَّ اَلْحَدَاثَةَ اَلْيَوْمَ هِيَ تُرَاثُ اَلْغَدِ، وَمِنْ التُّرَاثِ وَاَلْحَدَاثَةِ تَتَكَوَّنُ اَلْحَيَاةُ اَلإِنْسَانِيَّةُ، وَالاجْتِمَاعِيَّةُ، وَالْفِكْرِيَّةُ، وَالأَدَبِيَّةُ، لِلأَجْيَالِ التَّالِيَةِ، فَالْمَاضِي وَالْحَاضِرُ وَالْمُستقبَلُ بينهم اِرْتِبَاطٌ وَتَوَاصُلٌ، وَحَالَةٌ تَفَاعُلِيَّةٌ خَاصَّةٌ .**

*****

(١) التجديد في القصيدة العربية المعاصرة، مقالة لوليد إبراهيم قصاب، بعنوان: الحداثة في الشعر العربي حقيقتها وقضاياها، احتفالية الدورة الثالثة، مؤسسة يماني الثقافية الخيرية، القاهرة، ١٩٩٧م،(ص٤٧). وانظر: الحداثة الشعرية العربية بين الإبداع والتنظير والنقد، خليل أبو جهجه، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٥م، (ص٢٦٩).

(٢) معجم المصطلحات العربية في الأدب واللغة، لمجدي وهبة وكامل المهندس، (ص٤٩).

## التَوْطِئَةُ

يعدُّ التَّاريخ أَهَمَّ عَناصِرِ التُّراثِ الَّذي اتَّجه إليه كثيرٌ مِنْ الشُّعَرَاءِ، وَعَمِلُوا عَلَى تَوْظِيْفِهِ فِي تَجاربِهم الشِّعريَّةِ، بعد أنْ أدركُوا أهميَّةَ إدخالِ التاريخ في بِنَاءِ القصيدَةِ، فالتَّاريخُ ما يلبثُ أنْ يُعيدَ نَفْسَهُ مِنْ جديدٍ، فعُصُورُ الظَّلامِ والْهَزِيْمَةِ في تاريخنا، تتبعُها عُصُورُ النُّورِ والنَّصرِ، لذلك ينبغي أولاً أن نُفرِّقَ بين مفهومين؛ هما قراءة التاريخ، والوعي بالتاريخ، فإذا كانت (قراءةُ التَّاريخِ) تسمحُ بمعرفة الوقائعِ والإلمامِ بالأحداث، وتُصوِّرُ ما جرى فيها كما هو تاريخيًّا، فإنَّ الوعي بالتاريخ يقتضي توظيفَ ثمرةِ هذه القراءة في تغيير الواقع، واستشراف المستقبلِ؛ لذلك عَكَفَ شُعراءُ الحروبِ الصَّليبيَّة علي حقائق التاريخ يستلهموا منه العِبَرَ والعِظَاتِ، وكأنَّهم يَهْدِفُونَ بَهَذَا التَّوظيفِ أن يهتفُوا بِأُمَّتهم: هذه مآثرُ أبائكم وأمجاد أجدادكم؛ فلا تُخزوهم، وكونوا لهم خلفًا، في مُواجهةِ أعداء الله.

**<u>عَوَامِلُ تَوْظِيْفِ الأَحْدَاثِ التَّارِيْخِيَّةِ فِي الشِّعْرِ:</u>**

يُمكننا من خلال القراءة المتأنيِّةِ القول إنَّ الشُّعراءَ الذين عاشوا في تلك الحِقْبَةِ التَّاريخيَّةِ الْمُهمَّةِ قد تعاملُوا مع تُراثِهم بروحٍ وفهمٍ جديدين؛ تماشيًا مع الأحداثِ الْمُعاصِرَةِ، فالتَّاريخُ مادَّةٌ مرنَةٌ؛ تتعاملُ معك حَسْبَ رؤيتك لها، تمدُّك بالأحداثِ الْمُضيئةِ الْمُشرقةِ كي تُعطيكَ الأَمَلَ، وتستمدَ منها قوتك، وتمدَّك بالأحداثِ الْمأسويَّةِ تَعَقُبُهَا الإشراقةُ؛ كي تَمْنَحَكَ دَفْعَةً، وتُعينَك على النُّهوضِ، وشعراء الحروب استطاعُوا أن ينظروا إليهِ من بُعدٍ مناسبٍ، وأن يُفجِّرُوا ما فيهِ من طاقاتٍ حيويةٍ، تمثلُ الجوهرَ والروحَ، وأقبلوا عليه يغترفون من عبقِهِ الفيّاضِ، يأخذونَ منه المضيئَ الحيويَّ، المتحركَ، الفاعلَ، الخلاقَ، **<u>فعواملُ توظيف أحداث التَّاريخِ في تلك الحقْبَة الزَّمنيَّة يُوْعزُ إلي شيئين:</u>**

**أولًا: عاملٌ نفسيٌّ.**

**ثانيًا: عاملٌ موضوعيٌّ.**

**فالعاملُ النَّفسيُّ: يتمثَّلُ في الحَنينِ إلى المَاضِي:**

ويَتمثَّلُ في رغبةٍ جامحةٍ تجتاحُ الشَّاعِرَ في الهروبِ من ذلك الحاضرِ إلى ماضٍ سحيقٍ تكسوه العِزَّةُ، وتعلوه كرامَةُ أَمَّةٍ؛ هربًا من عصرٍ أصبحتْ بيوتُ الله مُستباحَةً مُهدرةً، فقد عاشُوا مَأْسَاةً دينيَّةً قوميَّةً وطنيَّةً بكُلِّ الْمَقَاييسِ، لذا كان الرُّجُوعُ للأحداثِ التَّاريخيَّةِ – وخصوصًا الْمُضيئةَ منها حِيلةً نفسيَّةً، يلجأُ إليها الشَّاعِرُ هربًا من حاضرٍ مُؤْلِمٍ يُشْعِرُهُ بالعَجْزِ والقَلَقِ والاضْطِرَابِ.

**أمَّا العاملُ الموضوعيُّ: يتمثَّلُ في الإِحْسَاسِ بِالمَسْئُوْلِيَّةِ:**

فكان القلمُ في تلك الفترة هو الدَّانةُ التي تقفُ في وجه أولئك المغتصبين، لذا وانطلاقًا من إحساسهم بتلك المسئولية الواقعة علي عاتقهم أخذوا يُصوِّرُون لنا في شعرهم تلك الأحداث التاريخية التي من الممكن أن يستلهموا منها الأمل والعمل والقدرة الجادة علي الجهاد، فالتَّاريخُ عُملةٌ ذات وجهين، يوظِّفُها الشَّاعرُ حَسْبَ اتِّجاهه، فالأحداثُ قابلةٌ للتَّأويلِ حَسْبَ نظرةِ الْمُخبرِ عنها، لذا فإنَّ هناك من الشُّعراءِ مَنْ وظَّفَ التَّاريخَ الإسلاميَّ بِصُوَرِهِ الْمُضيئةِ، ومنهم من وظَّفَ التَّاريخ العالمي، فقد تنوَّعُوا في الطَّرحِ؛ مِمَّا يوسِّعُ الأُفْقَ أَمَامَ الْمُتلقِّين، ولكن لم يكن توظيفُ التاريخ هنا من باب الثقافة العامة للشاعر، إنَّما كان وراءه مرامي بعيدةٌ؛ فطبيعةُ الْمرحلةِ الرَّاهنةِ فَرَضَتْ على الشَّاعرِ أَنْ يُوظِّفَ كُلَّ إمكانياته الفنيَّةِ، وأن يُضفِي علي النَّصِّ كُلَّ ما يُمكن أن يكون شأنُهُ الْمُساعدةَ في الفكرةِ الرئيسةِ؛ وهي الحثُّ علي الجهادِ، والتَّخلُّصُ من العدوِّ الغَاشِمِ، كما أنَّ التَّصارُعَ الدَّاخليَّ على السُّلطةِ، والتَّعامِي عمَّا يفعله الصَّليبيون، كان يُثيرُ حفيظةَ الشُّعراءِ، فانتقلُوا إلى توظيفِ تلك النَّماذج الْمُضيئةِ، حيثُ كان المسلمون على قلبِ رجلٍ واحدٍ، فَدَنَا لهم الشَّرقُ والغربُ مُلْكًا، فتوظيفُ الأحداثِ التَّاريخيَّةِ هنا لم يكن رفاهيةً، وإنَّما ضرورة استدعتها تلك الظروف الدقيقة التي عاشوها، لذا فقد تنوَّعُوا في طرحه كما سيأتي.

ويلعبُ الشِّعرُ دورًا كبيرًا في تدوين الأحداثِ التَّاريخيَّةِ، حتَّى أنَّهُ في كثيرٍ من الأحيانِ يكون هو الوسيلةُ المُهمَّةُ لتوكيدِ صِحَّةِ الحَدَثِ أو الكَشْفِ عَنْ جوَانِبَ خَفِيَّةٍ فيه، فهو وثيقةٌ تاريخيَّةٌ مُهمَّةٌ، فقد كان سجلًا لِمَآثِرِ العَرب ومفاخرهم؛ لأنَّ الشِّعرَ كان موضعَ علمهم، وموطن بلاغتهم، والأداةَ الإعلاميَّةَ، وهو الجامعُ لثقافتهم ولسمو أفكارهم، مُعبِّرٌ عن حَدْسِهِمْ؛ لذا فإنَّ الشَّاعر من خلالِ استقرائه شعر السَّابقين لابُدَّ له من الاطِّلاع على الأحداث التاريخية في العُصُورِ السَّابقةِ، فأصبحتْ جُزءًا من ثقافته، بالإضافة إلى ما وعاه من أجداده، وما اطَّلع عليه من أخبارٍ عن أهمِّ الأحداثِ التَّاريخيَّةِ؛ لذا فإنَّ شاعرَ الجهاد انطلق يوظِّفُ ما يتوافق والحالة الراهنة التي تعيشُها الأقطارُ العربيَّةُ في ذلك الحين، فيحنُّ إلى مَجْدِهِ الزَّاهِرِ؛ ابتداءً من عصر الرسول –ﷺ– مُرورًا بعهد الصِّدِّيق، وانتقالًا إلى مجدِ عمر بن الخطاب، فالتاريخُ استلهامٌ للعِبَرِ، وقراءةٌ لنتائجِ السَّابقين، وخبراتٌ تُضافُ إليكَ تُثْريك، وإيمانًا بأهمية موقف الشَّاعرِ في القضايا الوطنيَّةِ والقوميَّةِ فقد وظَّفَ الشُّعراءُ الأحداثَ التَّاريخيَّةَ في شعرهم؛ ليضعُوا نُصْبَ أعينِ المجاهدين صورةً حيَّةً حقيقيَّةً عن المجدِ الماضي والازدهارِ السَّابق، فينطلقوا يصنعوا مجدهم الخاصَّ، فالمحاكاةُ أو النَّمذجةُ أسلوبٌ يُعْرَفُ مُنْذُ القِدَمِ، فعندما يخطُو اَلْمُجَاهِدُ خَطَى السابقين من هِمَّةٍ وعزيمةٍ قويَّةٍ لِنُصْرَةِ الدِّيْنِ، فمِنْ الطَّبعي أن يكون النَّصرُ حليفًا لهم، لذا قام الشُّعراءُ في هذا العصر بتلك اَلْمُهمَّة التَّذكُّريةِ؛ لإنعاشِ ذاكرةِ المجاهدين، ولم يكنْ التَّوظيفُ خَبْطًا عَشواءً، بل إنَّهم انتقُوا النَّماذِجَ البارعة والمشهورة التي تشملُ نوعًا من الخَوَارِق؛ كي تكون نماذج لهؤلاء المجاهدين.

ولقد عبَّروا عن ذلك في أكثر من مناسبةٍ، وبيَّنوا غرضهم من هذا التَّوظيفِ، فنجدُ **الشَّاعِرَ عبدالمنعم الجلياني** يقولُ: [1][بحر البسيط]

**فِي بَاطِنِ اَلْغَيْبِ مَا لَا تُدْرِكُ اَلْفِكَرُ فُذُو اَلْبَصِيْرَةِ فِي اَلْأَحْدَاثِ يَعْتَبِرُ**

---

**(١) ديوان عبدالمنعم الجلياني، (ص١٢٥)، وينظر: عيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٤٠٦/٣).**

**وفي هذا الإطارِ يُمكننا أن نُحدِّدَ العوامل المؤثرة في توظيف التاريخ لدى شعراء الحروب الصليبية في الآتي:**

**١-إحياءُ مبادئ الدِّينِ الإسْلاميِّ وقِيَمِهِ وتَعَالِيمِه:**

فعصرُ الحروب الصَّليبيَّة هو بداية التَّهاوي الذي مرَّت به الأمَّةُ الإسلاميَّةُ، حيثُ تَوَالَتْ عليها اَلْهَجَمَاتُ من مختلفِ أقطارِ أوربا؛ بغرضِ إفسادِ دينهم، لذا فإنَّ الاتِّجاه العامَّ في تلك الفترة كان لتوظيف التاريخ، مِمَّن كان لهم الأثرُ الكبيرُ في إحياء تعاليم الإسلام ومبادئه وأخلاقياته ومُثلِهِ العليا في المجتمعِ؛ لِمَا جسَّده ؛ من قيمٍ والتزامٍ بمبادئ الدِّينِ وتعاليمه الصحيحة السلمية.

**٢- استنهاضُ الهِمَمِ في الواقِعِ العربيِّ المُتَهَاوِي:**

فلاشكَّ أنَّ الظروف السِّياسيَّةَ اَلْمُتهاوية التي عاشتها الخلافة الإسلامية في ذلك الوقت من التَّفرُّق الذي وقع فيه الأمراء ، وسيادة روح "فَرِّقْ تَسُدْ" التي نشرها المحتلُّ الغاصب؛كُلُّ تلك الأمور جعلت الشاعر يلجأ إلي توظيف التاريخ عمومًا – والإسلامي خُصُوصًا- للتذكير بأهمية الوحدة، لكي تقي من عوارض الهجوم الساحق للغرب علي البلاد الإسلامية، وما صاحب ذلك من استبدادٍ وضعفٍ وتسلُّطٍ، وكان لابُدَّ من إنقاذ الأمة من هذا الواقع اَلْمُتردِّي البالغ السُّوء، فحاول الشعراء أن يجعلوا من التاريخ نماذجَ مُشرقةً مُضيئةً؛ يقتدي بها المجاهدون والأجيال القادمة، يسيرون علي منهجهم، ويستنهضوا من خلال ذلك واقعهم اَلْمُتردِّي، فيحاولون بذلك الخروج من واقع الانهزاميَّةِ إلي آفاق الحُريَّةِ والنَّصرِ

## رَوَافِدُ الْأَحْدَاثِ التَّارِيخِيَّةِ فِي شِعْرِ الْحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ:

لقد تعدَّدت أشكالُ توظيفِ الأحداثِ التَّاريخيَّةِ في شعر الجهاد؛ مِمَّا يدلُّ على ثَرَاءِ هَذَا النَّمطِ، وقد عمدوا إلى توظيفِ الأحداثِ الْمُختلفةِ بطريقةٍ مرنةٍ مُوحيةٍ، تتوافقُ والغَرَضِ الَّذِي يريدُ إيصالَه إلي الْمُتلقِّي، فعندما يتحدَّثُ **العماد** عن شاور– الوزير الخائن – وخيانته، وهزيمته في النهاية يوظف أحداثًا تاريخيَّة تُبيّنُ الحدث وتوكِّدُه في النَّفس، فيقولُ:(١)[بحر الخفيف التام]

**لَاذَ بِالنِّيْلِ شَاوَرُ مِثْلَ فِرْعَوْ ... نَ فَذَلَّ اللاَّجِي وَعَزَّ الْعَبُوْرُ**

**شَارَكَ الْمُشْرِكِيْنَ بغيًا، وَقِدْمًا ... شَارَكَتْهَا قُرَيْظَةُ وَالنَّضِيْرُ**

ثُمَّ تحدَّثَ عَنْ حِصَارِ الإسكندريَّةِ، في الصيدة نفسها وقال:

**وَحَمَيْتَ الإِسْكَنْدَرِيَّةَ عَنْهُمْ ... وَرَحَى مَنْ بِهَا عَلَيْهِمْ تَدُوْرُ**

**حَاصَرُوْهَا وَمَا الَّذِي بَانَ مِنْ ذَ ... كَ عَنْهَا وَحِفْظُهَا مَحْصُوْرُ**

**كَحِصَارِ الأَحْزَابِ طَيْبَةَ قِدمًا ... وَنَبِيُّ الْهُدَى بِهَا مَنْصُوْرُ**

**فَاشْكُرِ اللهَ حَيْثُ أَوْلَاكَ نَصْرًا ... فَهُوَ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيْرُ**

نظرًا لِجَسَامَةِ الحدثِ وعظمَتِهِ؛ لذا فإنَّ الشَّاعرَ قد حَشَدَ من الأحداثِ التَّاريخيَّةِ الإسلاميَّةِ التي تعقدُ مُقارنةً بين هذه الخيانَةِ وتلك، فقد خَانَ بني النَّضيرِ وبني قُريظَةَ رسولَ الله –ﷺ– فكانَ إيذانًا بإعلانِ الحربِ على جماعةِ الْمُسلمين، وشاور كذلك عندما عاهد وداهن الصَّليبيين؛ كان بمثابةِ إعلانِ حربٍ على المجاهدين المسلمين، فكأنَّ الشَّاعِرَ يهتفُ: ما أكثر هؤلاء الخوَنَةِ الذين يحتفظُ لهم التَّاريخُ بمكانٍ! ولكن لَبِئْسَ الْمَكانِ الَّذي اختاروه لأنفسهم، فعمادُ الدِّين أراد أنْ يُثبتَ أنَّ الأحداثَ والخيانَاتِ مُتكرِّرةٌ في التَّاريخ؛ لذَا لم تكُنْ خِيْانَةُ شاور سابقةً من نوعها، بل هو خائنٌ مثلُ آلافٍ مِثلِهِ مَرُّوا في التَّاريخِ، كما نجدُ هُنَا أيضًا أنَّ

---

(١) ديوان عماد الدين الأصفهاني، (ص٢١٤)، وينظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي (١٥٧/٢)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٢٢/٢).

الشَّاعرَ قد زاوج بين التَّاريخِ الإسلامي والتَّاريخ الفرعُوني، وقد جعل هذا التوظيف كثيفًا في النَّصِّ، وعبَّر عنها بأكثرَ مِنْ مثالٍ في الأبياتِ السَّابقةِ، فليسَ هروبُ شاور بالنِّيلِ مثلَ هُرُوب فِرعونَ، فالتَّشابُهُ ليس في وسيلةِ الهرُوب، لكنَّه شَابَه بينَ فِرعونَ وشاورَ في الخيانةِ، فكأنَّ الشَّاعِرَ أرادَ أن يجمعَ كُلَّ الخيانَاتِ في التَّاريخِ؛ لِيُشابِهَ بينها وبين خيانةِ شاور؛ لإحساسه بالْمَرَارَةِ منها.

**ولكن يبقى التَّساؤُلُ: ما القيمَةُ الفنيَّةُ التي تُضيفُها مثلُ هذه الأحداثِ التَّاريخيَّة على النَّصِّ الشِّعري ؟؟**

والرَّأيُ أنَّ الشَّاعرَ – وخصوصًا في العصرِ الصَّليبي – كان مُؤمنًا بقضيَّته، وكان يرى في نفسه صَاحِبَ رسالةٍ يُؤدِّيها خيرَ أداءٍ، فكان يُؤرِّخُ لِهَذَا الْعَصْرِ أحداثَهُ وبُطُولاتِه وإخفاقاتِهِ، وكان يرى أنَّ توظيفَ الأحداث التاريخية يُضفي على القصيدةِ خاصيَّةَ الْمِصداقيَّةِ، ويجعلُ الْمتلقِّي يَستشفُّ مِنْ هذا الماضي العِبَرَ التي يَنطلقُ يُوظِّفُها ويُؤسِّسُها؛ استنادًا إلى حقائقَ عَنْ السَّابقين، لذا فإنَّ الشَّاعِرَ رأى أنَّ توظيفَ الأحداثِ التَّاريخيَّةِ لاستلهامِ العِبَرِ، وقد يُساعدُ المجاهدين والسِّياسيين على إعادة رُؤيةِ الأحداثِ السِّياسيَّةِ؛ وهي مَمزوجَةٌ بخبرةِ السَّابقين، لذا فإنَّ إعادة توظيفِ الأحداثِ التَّاريخيَّة اعتبرها الشَّاعر جزءًا من رسالته، حاول أن يُؤدِّيَهُ علي أحسنِ وجهٍ؛ لذا فإنَّنا عندما نَستقرئُ الأحداثَ التَّاريخيَّةَ التي وظَّفَها الشَّاعرُ نجدُهَا تحملُ وَجْهًا مِنْ أَوْجُهِ الشَّبَهِ لواقعِهِ الْمُعاصر، ويحاولُ أنْ يُسقطها عليه، مُستغلًّا بذلك رَحَابَةَ التَّاريخِ الإسلامي أو العالمي، بما يَضُمُّه من أحداثٍ تتكرَّرُ مع واقعهم الْمُعاصرِ، وهذا النَّهْجُ في التَّوظيفِ يُعدُّ تصديقًا لقوله تعالي ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [1] فقد كان القرآنُ الكريمُ يُوظِّفُ من أحداثِ السَّابقين ما يدعو الإنسانَ إلى التَّأمُّلِ، وإعادةِ النَّظرِ والتَّفكُّرِ، وذلك في مختلف المجالات {الدعويَّة – السياسيَّة –الاجتماعيَّة ...الخ}؛ لذا لم يكن بِدعًا من الشَّاعرِ في العصرِ الصَّليبي أنْ

(١) سورة آل عمران ، الآية:١٣ .

ينهجَ هَذَا النَّهْجَ، بل كان تكملةً لهذا السَّيْلِ اَلْمُمتدِ من التَّوظيفِ الدِّيني والتَّاريخي في هذا العَصْرِ، وبالرُّجوعِ إلى النَّصِّ الشِّعريِّ السَّابق نجدُ أنَّ الشَّاعر وجد في خِيَانَةِ بني النَّضيرِ وبني قُريظَةَ تمثيلًا للخيانَةِ، لِذَا شابَهم بشاورَ، ثُمَّ انتقل إلى توظيفِ حدثٍ مُهِمٍّ من الأحداثِ التَّاريخيَّةِ، وهو غزوةُ الأحزاب، وتشبيه مُحاصرَةِ الصَّليبيين لنور الدين من كُلِّ جهةٍ، بالإضافةِ إلي خيانَةِ بعضِ الأُمَرَاءِ، وعلي رأسهم شاور، بحصار رسول الله – ﷺ – والذي يُعتبرُ حدثٌ فارقٌ في العهدِ النَّبويِّ بيَّنَ مَنْ ثَبَتَ ومَنْ ضَعُفَ واستكان، فقد تكالَبَتْ القُوى علي رسول الله ﷺ

وصحابته، والقوانينُ الأرضيَّةُ والإنسانيَّةُ قد تحكمُ بالغَلَبَةِ للأَقْوَى، ولكن هناك قوانينُ سماويَّةٌ تختلفُ عن تلك الأرضيَّةِ، فالنُّصرةُ لِمَنْ يملكُ الحقَّ وإنْ قَلَّ عَتَادُهُ، وإنْ قلَّ مُناصرُوهُ، تلك سُنَّةُ الله في كونه التي ارتضاها لعباده وبلاده، وهو مِنْ قوله تعالي( ***وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)***

فالذِّلَّةُ اَلْمُرادُ بِهَا هُنَا هُوَ الضَّعْفُ وَالْهَوَانُ على النَّاسِ، ثُمَّ مضى الشَّاعِرُ يُوجِّهُ حديثه إلى نور الدين قائلًا: لقد أمضى اللهُ فيكَ يانور الدين سُنَّتَهُ اَلْمَاضِيَةَ وحكمته النَّافذةَ؛ فَنَصَرَكَ على مَنْ كان يُعاديْكَ، فاحمدْ اللهَ إِذْ أَوْلَاكَ تلك النِّعْمَةَ العظيمةَ، وجعلك مِمَّنْ نَاصَرَه، ولاشكَّ أنَّ هذا التَّوظيفَ وَرَبْطَهُ بالواقعِ أَضْفَى عَلَى القصيدةِ مِسْحَةً تاريخيَّةً تُراثيَّةً مَمزوجَةً بِعَبَقِ اَلْمَاضِي اَلْمُزدَهِرِ، وخصُوصًا أنَّهُ العَهْدُ النّبويُّ الشَّريفُ، وقد ساعدتْ الألفاظُ ذاتُ الصِّبغَةِ الإسلاميَّةِ علي نقلِ هذا اَلْمَاضِي اَلعَبِقِ حصار الأحزاب طيبة، فاشكر الله حين أولاك نصرًا..الخ. فلمَّا مات العاضِدُ آخرُ الخلفاء الفاطميين في مصر قال **العماد الأصفهاني**:[1][بحر المنسرح]

---

**(١) ديوان عماد الدين الأصفهاني (ص٢١٨)، وينظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٢٠٩/٢)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (١٩٤/٢)، والبداية والنهاية، لابن كثير (٢٦٥/١٢)، وصلاح الدين الأيوبي وجهوده، للصلابي (ص١٩٣).**

تُـــوفِّي اَلْعَاضِـــدُ الـــدَّعِي فَمَـــا ... يَفْـــتَحُ ذُو بِدْعَـــةٍ بِمصْـــرَ فَمَـــا
وَعَصْـــرُ فِرْعُوْنِهَـــا اِنْقَضَـــى وَغَـــدَا ... يُوسُـــفُهَا فِـــي الْـــأُمُوْرِ مُحْتَكِمَـــا
وَصَـــارَ شَـــمْلُ الصَّـــلَاحِ مُلْتَئِمًـــا ... بِهِـــا وَعَقْـــدُ السَّـــدَادِ مُنْتَظِمَـــا

فتوظيفُ الأحداثِ التاريخيَّةِ هُنَا آليَّةُ التَّوظيفِ فيه مختلفـةٌ، فهـو توظيـفٌ مُكثَّفٌ؛ اختصره الشَّاعرُ في كلماتٍ قليلةٍ تحملُ في طَيَّاتِها الكثيرَ، فقـال(وعصـرُ فرعُونِهَا انقضى) يختصر أحداث عصر فرعون كُلَّها؛ من ظُلمٍ وتنكيـلٍ وهَضْـمِ حُقُوقٍ، وفي الوقت ذاته هو يُشبِّهُه بعصر العاضد لدين الله آخر الخلفاء الفاطميين، ثُمَّ أرادَ الشَّاعرُ أن يُؤصِّلَ لفكرةِ التَّكرارِ في التّاريخِ، فكما جاء سيدنا يوسف عليه السلام وأنقذ مصر من فرعونها، جاء أيضًا يوسف صلاح الدين وخلَّص مصر من هـذا العهدِ الفاطمي، وأقام دولةَ بني أيوب، وجمعَ الشَّمْلَ، فهو توظيفٌ أدَّى الكثير مـن المعاني اَلْمُرادِ تأديتها، فالغرضُ هنا من التَّوظيفِ اَلْمُشابهةِ واَلْمُقارنة بـين عهـدٍ مضى وانقضى بكُلِ مَا فيه من سَلبيَّاتٍ ونقائصَ، وبدايةِ عَهْدٍ جديدٍ يُزيِّنُه العـدلُ، وتُعِلِّفُه تقوى الله ورضوانُهُ، فهو توظيفٌ مُوجزٌ يكتفي الشَّاعِرُ فيه بالإشَارَةِ التـي تحملُ في طيَّاتِها الكثيرُ مِنْ الإيحاءاتِ التي يُتركُ فيها اَلْمتلقِّي القيامُ بالجهدِ الأكبـرِ من الرَّبطِ بين الأحداثِ، فيستغرقُ فيه اَلْمتلقِّي لبيانِ الفِكَرِ والعِبَرِ مـن وراء هـذا التَّوظيفِ الذي كان له دورٌ في اَلْمدلولِ العامِّ للقصيدَةِ. وفي القصيدةِ اَلْمُسمَّاةِ الفَتْحِيَّةِ النَّاصريَّةِ، يقول **الجلياني**:(١)[البسيط التام]

يَا وَقْعَةَ التَّلِّ مَا أَبْقَيْـتِ مِـنْ عَجَـبٍ ... جَحَافِلُ لَمْ يَفُـتّ مِـنْ جَمْعِهَـا بَشَـرُ
وَيَا ضُحَى السَّبْتِ مَا لِلْقَوْمِ مَا سَـبَتُوا ... تَهَوَّدُوا أَمْ بِكَأْسِ الطَّعْنِ قَـدْ سَـكِرُوا
وَيَا ضَرِيْحَ شُعَيْبٍ مَـا لَهُـمْ جَثَمُـوا ... كَمَدْيَنَ أَمْ لَقُـوا رَجْفًـا بِمَـا كَفَـرُوا
حَطُّوا بِحِطِّـيْنَ مُلْكًـا كَافِيًـا عَجَـبٌ ... فِي سَـاعَةٍ زَالَ ذَاكَ اَلْمُلْـكُ وَالْقَـدَرُ

(١) ديوان عبدالمنعم الجلياني، (ص٦٦)، وينظر: عيون الروضتين، لأبـي شـامة المقدسـي (٤٠٦/٣).

فالشَّاعرُ اِنْبَهَرَ بنصرِ صلاح الدين في موقعةِ حِطِّينَ، وهذا الانبهَارُ دَفَعَهُ للتَّساؤُلِ: أَيْنَ اَلْجَحَافِلُ العظيمَةُ التي تتبعُ الصَّليبيين؟! وذلك علي سبيلِ التَّهكُّمِ، ثُمَّ وظَّفَ حَدَثَهُ التَّاريخي، وهي قِصَّةُ أصحابِ السَّبْتِ الذين عَصَوُا الله، ولم ينتهُوا بنواهيه، ولم يلتزموا بأومراه، فقال لهم: لماذا لم تخرجوا يوم السَّبْتِ؟ هَلْ تَهودتُمْ وأصبحتم مثل هؤلاء القوم لاتخرجون صباحًا؟! أم أنَّكم أدرككم الفَنَاءُ؟

فالاستهزاءُ هنا فيه إسقاطٌ لواقِعِهِ اَلْمُعاصرِ علي الحدَثِ، بغرضِ الشَّماتَةِ والكَيْدِ لهؤلاءِ الأعداءِ أوَّلًا، ثُمَّ إنعاشِ الذَّاكرَةِ بهذا الحَدَثِ التَّاريخي ثانيًا، وقد أضفى على القصيدةِ لَمسةً ترهيبيَّةً ثالثًا؛ من حيثُ التَّذكيرِ بعاقِبَةِ الأُمُورِ، فالشَّاعِرُ يُلقِي بظلالِ كُلِّ ذلك في قصيدته، ويجعل الحدثَ التَّاريخيَّ عُنْصُرًا مُتحرِّكًا في القصيدة، ثُمَّ يُكْمِلُ هذا النَّهجَ، فَيُذكِّرُهُمْ بقومِ ثَمُوْدَ، وكيف أصبحُوا أثرًا بعد عينٍ، بعد أن أدركتهم عُقُوبَةُ الله بعد اَلْمُخالفاتِ التي ظهرتْ منهم، أو كقوم مَدْيَنَ الذين أخذتْهُم الرَّجْفَةُ، فكأنَّ الشَّاعرَ بَحشدِهِ تلك الحوادثِ التَّاريخيَّةِ يهتفُ بهؤلاء الصَّليبيين: سيرُوا بِخُطى حثيثَةٍ على خُطَاهُمْ، وسيُدْرِكُمْ ما أدركَهُمْ، فهو ينهجُ نَهْجًا مُخالِفًا لِمَا سَبَقَ من الأمثلةِ، حيثُ إنَّهُ يُوجِّهُ رسالَتَهُ لا للمجاهدين، وإنَّما للصَّليبيين؛ لِيُوْعِظَهُمْ، وَيَزْجُرَهُمْ ولِيَتَهَكَّمَ عليهم؛ فرحًا بهذا الانتصَارِ العَظِيْمِ الَّذِي حَقَّقَهُ صلاح الدين.وقد يجعلُ الشَّاعرُ الأحداثَ التَّاريخيَّةَ ناطِقَةً علي لسَانِ الأشخاصِ الَّذين عَاشُوا تلك الحِقْبَةِ الزَّمنيَّةِ:(١)

[بحر الكامل التام]

**آَثَارُهُمْ نَجَسٌ أَذَالَ اَلْمَسْجِدَ ال ... أَقصى فَصُنْ مَا دَنَّسُوْهُ وَطَهِّرْ**

**جَارَ اَلْخَلِيْلِ وَمَنْ بِغَزَّةَ هَاشِمُ ... بِلِهَامِكَ اَلْمُتَدَمْشِقِ اَلْمُتَمَصِّرِ**

---

**(١) ديوان عبدالمنعم الجلياني، (ص١٤٧)، وينظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٨٧/٢)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٢٠/١).**

فالشَّاعرُ هنا ينتهجُ نهجَ التَّواري عن ذكرِ الْمَكانِ، ولكن يُومئ بذكرِ مَنْ عَاشَ فيه، في إشارةٍ إلي قَدَاسَةِ ذلك الْمَكانِ وَطُهْرِهِ، وما حلَّ فيه بعد ذلك، حيثُ أُصيبَ بالنَّجَسِ، فالفرقُ بين ساكني المكانين هو فرقٌ بين القِمَّةِ والقَاعِ، السَّماءِ والأرضِ، فتلك الْمُقارنةُ أوجبتَ الْحسرةَ والألَمَ في قلبِ الشَّاعرِ، فهذا التَّذكيرُ بسيدنا إبراهيم عليه السلام والأحداثِ التَّاريخيَّةِ التي مَرَّتْ به في هذا الْمَكَانِ، الهدَفُ منه دَفْعُ الْمُجاهدين لِلدِّفَاعِ عن الْمَسْجِدِ الْمُقَدَّسِ وتطهيره من هذا الدَّنسِ.

ويبدُو أنَّ غزوةَ بدرٍ كانت مُلهِمَةً للكثيرِ من الشُّعراءِ، وذلك لدلالتها التاريخية، فهي أَوَّلُ غزوةٍ للرَّسول – ﷺ – وكان الانتصارُ فيها مُخالفًا للقوانينِ البشريَّةِ، حيثُ هَزَمَتْ القِلَّةُ القليلةُ الفِئَةَ الكبيرةَ؛ مُستعينةً بالله، مُوقنةً بنصْرِهِ تعالى، لذا فإنَّ تلك الغزوةَ احتفظتِ لِنَفْسِهَا في التَّاريخِ بمكانةٍ كبيرةٍ، وعندما يأتي حدثٌ يستدعِي إثارةَ عزائِمَ، وربطَ ماضٍ بمستقبلٍ تكون تلك الغزوةُ هي البَاعِثُ القويُّ للحَمِيَّةِ والنَّخْوَةِ، واستثارة الهِمَمِ للجهَادِ، ومن ذلك **قول ابن القيسراني:**[1][بحر الكامل التام]

| | |
|---|---|
| **للهِ آيَةُ وَقْفَةٍ بَدْرِيَّةٍ** | **نَصرَتْ صَحَائِبهَا بَأَيْمَنِ صَاحِبِ** |
| **ظَفْرٌ كَمَالُ الدِّينِ كُنْتَ لُقَاحُهُ** | **كَمْ نَاهِضٍ بِالْحَرْبِ غَيْرِ مُحَارِبِ** |
| **وَأَمَدَّكُمْ جَيْشُ الْمَلائِكِ نُصْرَةً** | **بِكَتَائِبٍ مَحْفُوفَةٍ بِكَتَائِبِ** |

فالشَّاعرُ اكتفى في هذا التَّوظيفِ بلفظِ "بدريَّة"، وكأنَّ تلك الغزوةَ يكفي مُجرَّدُ الإشارةِ إليها، لِتستدعِيَ إلى الذَّاكرةِ النَّصْرَ والعِزَّةَ والْمَدَدَ من الله، ثُمَّ رَبَطَهَا بالبيتِ التَّالي الذي يُصوِّرُ وَاقِعَهُ الْمُعَاصِرَ، فكمال الدين كان مُشرفًا علي الْمَدَارس، ومُتَولِّي القَضَاءَ أيام نور الدين، كما أنَّهُ سَاهَمَ في بناءِ جيشٍ عظيمٍ، يُحاربُ أولئك الصَّليبيين، فكانَ نَاهِضًا للحربِ، ورافعًا للرَّايَةِ من غيرِ أنْ يكون مُحاربًا، ولاشكَّ

---

**(١) انظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي، (٢٠٨/٢)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (١٤٣/١)، وصلاح الدين الأيوبي وجهوده، للصلابي (ص١١٩).**

أنَّ هذه اَلْمُفارقَةَ في النَّصِّ الشِّعرِيِّ تجعلُ اَلْمُتلقِّي يَتَساءَلُ: مَنْ هُوَ كمال الدين ؟ ولِمَ كان ناهضًا غيرَ مُحاربٍ ؟!! فخلق نوعًا من التَّواصُلِ الذِّهنيِّ بين اَلْمُتلقِّي وبين البيتَ الشِّعريِّ؛ تأتيه إجابَتُهُ في البيتِ الذي يليه، فهو الذي يُرَبِّي أجيالًا تمدُّ الجيشَ بالنَّصْرِ، كتلكَ الكتائبِ التي أمدَّ الله بها رسوله الكريم – ﷺ – يومَ بَدْرٍ، فخلق هذا التَّوظيفُ تَوَاصُلًا كبيرًا بين اَلْمَاضِي واَلْحَاضِرِ، وصنع جِسْرًا مُمتدًّا مَفروشًا بورودِ الأَمَلِ، وكأنَّهُ يقولُ: كما أمدكم الله في الماضي بتلك الكتائبِ في غزوة بدر، فإنَّهُ قادرٌ على أنْ يُمددكم في الوقتِ الحالي، فقط استلهِمُوا اَلْعِبَرَ.ومن ذلك **قول ابن منير** لنور الدين في فتح مدينة الرَّهَا:[1][بحر البسيط التام]

**فَتْحٌ أَعَادَ عَلَى اَلإِسْلَامِ بَهْجَتَهُ فَافْتَرَّ مَبْسَمُهُ وَاهْتَزَّ عِطْفَاهُ**

**يَهْدِي بِمُعْتَصِمٍ بِاللهِ فَتْكَتُهُ حَدِيْثُهَا نَسَخَ اَلْمَاضِي وَأَنْسَاهُ**

**إِنَّ الرَّهَا غَيْرُ عَمُوْرِيَّةَ وَكَذَا مَنْ رَامَهَا لَيْسَ مَغْزَاهُ كَمَغْزَاهُ**

فالشَّاعرُ يُجري مُقارنةً بين فتحِ عَمُوْرِيَّةَ في عهدِ اَلْمُعتصم بالله العباسي، وبين فتح الرَّهَا في عهد عماد الدين، فَيقرِّرُ أنَّ فتحَ الرَّهَا أعظمُ بكثيرٍ من فتحِ عَمُوريَّةَ، وأنَّ هذا الفتحَ لِعَظَمَتِهِ وخُلُوْدِهُ بين النَّاسِ، أَنْسَاهُمْ كُلَّ فتحٍ قَبْلَهُ، فالشَّاعِرُ استغلَّ الحدثَ التاريخي العظيم لتعظيم الحدث في واقعه، فعموريةُ فتحٌ له مكانته التاريخية، وكون الشاعر يجعل فتح نور الدين أعظم منه يُعدُّ مُبالغةٌ، ولكن لها تبريرَها، فهم عاشُوا في عهدٍ أصبحت الحصونُ اَلْمُسلمةُ تقعُ الواحدة تلو الأخرى؛ لذا فإنَّهم كانوا يتلهَفُون علي أيِّ انتصارٍ؛ لإعادَةِ الأملِ لهم، لذا قد جعله فوق كُلِّ حَدَثٍ تاريخيٍّ سابقٍ على سبيلِ اَلْمُبالَغَةِ اَلْمَقبولَةِ؛ مُراعاةً لنفسيَّةِ الشَّاعِرِ والظُّروفِ

---

**(١) ديوان ابن منير الطربلسي، (ص١٠٢)، وينظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٤٧/٢)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (١٤٥/١)، وصلاح الدين الأيوبي وجهوده، للصلابي (ص١٢٠).**

والْمُلابَسَاتِ الْمُحيْطَةِ بالحدَثِ الْمُبالَغِ فيه...ومنه أيضًا توظيفُ الأحداثِ التَّاريخيةِ الدينية التي ورد ذكرها في القرآن، ومن ذلك قول **ابن القيسراني**:(١)

[بحر الكامل التام]

**مُصِيْبٌ سِهَامَ الرَّأْيِ لَوْ أَنَّ عَزْمَهُ رَمَى سَدَّ ذِي الْقَرْنَيْنِ أَصْمَى سَدَادُهُ**

**فالقيسراني** هُنَا يُشيرُ إلى قصَّةِ يأجوجَ ومَأجُوجَ مع ذي القرنين وبناءِ السَّدِّ العظيمِ، وذلك للْحِفَاظِ على الحَرْثِ والنَّسْلِ، وفي القصيدة نفسها أيضًا:

**وَبِنَفْسِيَ الرَّشَأُ الْمُتَرْجِمُ طَرْفُهُ عَنْ بَابِلِ هَارُوْتُهَا إِنْسَانُهُ**

ففي ذلك أيضًا إشارةٌ إلى قِصَّةِ هاروتَ ومَاروتَ في أرضِ بابِلَ.

– ومِمَّا يدخل في إطارِ توظيفِ الأحداثِ التَّاريخيَّةِ بطريقةٍ غيرِ مُباشرةٍ توظيفُ **الْحِكَمِ الْمَأْثُوْرَةِ عَنْ الأقدمين**، فهو يدلُّ علي تعلُّق شاعرِ الحروبِ الصَّليبيَّة، بالتَّاريخِ بكافَةِ أشكالِهِ وأنواعِهِ، وهو يَدلُّنا أيضًا على أنَّ التَّاريخ ما هو إلا سِلْسِلةٌ مُتَّصِلَةٌ، تنتقلُ عبر الأجيال بكافَّةِ أشكاله حتي التفاصيل الحياتيةِ البسيطةِ، فمِنْ توظيف الحِكَمِ الْمَأثورة **قول القيسراني**:(٢)

[بحر الطويل]

**وَصُنْتُ بَنَاتَ الْفِكْرِ عَنْ غَيْرِ أَهْلِهَا وَمَنْ وَلِيَ الْحَسْنَاءَ صَانَ وَأَشْفَقَا**

فالشَّطرُ الثَّاني مُوظَّفٌ من معنى الْحِكْمَةِ الْمَأْثُوْرَةِ «**ومَنْ يَخْطُبْ الْحَسْنَاءَ لَمْ يُغْلِهَا الْمَهْرُ**»(٣)، فالشَّاعِرُ جعل الْجنَّةَ حَسْنَاءَ تُخطبُ، ويَجبُ أنْ يؤدَّى إليها مَهْرُهَا؛ وَهُوَ الْجِهَادُ الذي هو ذَرْوَةُ سَنَامِ الإِسْلَامِ، فَحَبَّبَ إلى النُّفُوسِ بتوظيفِ هذه الحكمَةِ الجهادَ، وصوَّرَ الْمُجاهِدَ بصورَةِ عريسٍ يُزَفُّ إلي حبيبتِه الْجَنَّةِ.ومن ذلك أيضًا **قول القيسراني**(٤)

---

(١) ديوان ابن القيسراني (ص٢٧٩)، وينظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي ،(١٨٩/٢)،

(٢) ديوانه (ص٢٠٧)، وينظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي (ص١٠٨).

(٣) هذه الحكمة جزءٌ من شطر بيتٍ للشَّاعر أبي فراس الحمداني من قصيدته (أراك عصيَّ الدَّمْعِ). انظر: ديوانه (ص١٥٣).

(٤) ديوانه (ص١٤٧)، وينظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي (ص ١٨٩).

[بحر الكامل التام]

**وَلِضَمْرِ سَبَقَتْ إِلَى غَايَاتِهَا وَالسَّبْقُ مِنْ شِيَمِ الْجَوَادِ الْضَّامِرِ**

فهذا البيتُ موظَّفٌ من الْمَثَلِ التَّاريخي «**سَبَقَ السَّيْفُ الْعَذْلُ**»(١)، ومنه **قول القيسراني**:(٢)[بحر الكامل التام]

**هَيْهَاتَ يَطْمَعُ فِي مَحَلِّكَ طَامِعٌ طَالَ الْبِنَاءِ عَلَى يَمِيْنِهَا الْهَادِمِ**

فالشَّطرُ الثَّانِي مأخوذٌ من الحِكْمَةِ التَّاريخيَّةِ «**طَالَ الْبِنَاءُ عَلَى يَمِيْنِ الْهَادِمِ**» (٣).

ومن توظيفِ الأمثالِ التُّراثيَّةِ **قول ابن سناء الملك** يمدحُ القَاضِي الْفَاضِلِ:(٤)[بحر البسيط]

**حُبِّي صَحِيْحٌ وَغَيْرِي حُبُّهُ كَذِبُ إِنِّي جُهَيْنَةُ فَاسْئَلْنِي عَنْ الْخَبَرِ**

**وَخَاطِرِي إِنْ يُوَفَّقْ مَعَ بَلَادَتِهِ فَالْمَاءُ يَنْبُعُ أَحْيَانًا مِنْ الْحَجَرِ**

فالشَّاعرُ استعان بالقِصَّةِ التَّاريخيَّةِ لِجُهينَةَ، ومنها الْمَثَلُ السَّائرُ «**عِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبَرُ الْيَقِيْنُ**»(٥) التي يُستدلُّ بِهَا لبيانِ حقيقةِ الأمرِ لِمَنْ خَفِيَ عليه، فاستعانَ

---

(١) (سبق السيف العذل): قاله ضبة بن أدد لَمَّا لامه الناس على قتله قاتل ابنه في الحرم، وقد مرَّ تمام القصة فيما تقدم عند قوله "إن الحديث ذو شجون"، ويقال: إن قولهم "سبق السيف العذل" لخزيم بن نوفل الهمدان. ينظرك مجمع الأمثال، لأبي الفضل النيسابوري ، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد ،دارالمعرفة، بيروت ،(٣٢٨/١). وانظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٤٢٠/٢)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر (٢٦٣/٢٨)، الكامل في التاريخ، لابن الأثير (٩٥/٢)، والبيان والتبيين، للجاحظ (٢٠٢/١)، والمثل السائر، لابن الأثير (٩٤/١).

(٢) انظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي (١٧٨/٢)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٨٢/١)، ومعجم الأدباء، لياقوت الحموي (٢٦٦٠/٦).

(٣) انظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٤٢٠/٢)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٨٢/١)، ومعجم الأدباء، لياقوت الحموي (٢٦٦٠/٦).

(٤) ديوان ابن سناء الملك، (ص١٧١).

(٥) مجمع الأمثال، للميداني (ص٢٤٤٩).

بالحدَثِ التَّاريخي للدَّلالَةِ على صِدْقِهِ، وتلك آليَّةٌ تَختلفُ عمَّا سَبَقَ مـن التَّوظيـفِ؛ وهي تدلُّ على ثراءِ ورَحَابَةِ التَّوظيفَ التَّاريَخِي....

– ومِنْ التَّقنياتِ الَّتي اِتَّبَعَهَا الشَّاعرُ في التَّوظيفِ أيضًا **توظيفُ أكثـرِ مِـنْ حَدَثٍ تاريخيٍّ**؛ ليدلَّ عَلَى عِظَمِ حَدَثِهِ الواقعِي، ومِنْ أَمْثِلَةِ ذلك:[1][بحر الطويل]

**فَلِلَّهِ يَوْمُ الْفَتْحِ يَوْمَ دُخُوْلِهَا وَقَدْ طَارَتْ الأَعْلَامُ مِنْهَا عَلَى وكَرِ**

**لَقَدْ فَاقَ أَيَّامَ الزَّمَانِ بِأَسْرِهَا وَأَنْسَى حَدِيْثًا عَنْ حُنَيْنَ وَعَنْ بَدْرِ**

فالشَّاعِرُ هَلَّلَ لفتحه وأصَابَتْهُ نَشْوَةُ الانتصارِ، فوظَّفَ الْحَـدَثَ التَّـاريخي ليدلِّلَ على أنَّ هَذَا الفَتْحَ لَمْ يُسبقْ إليه، لدرجةِ أَنَّهُ أَنْسَى غزوةَ حُنَيْن وغزوةَ بَـدْرٍ، وكما يبدُو فإنَّ الشَّاعِرَ يرى أنَّ أعظمَ فتحٍ في الوُجُودِ هو غزوةُ حُنين وبـدر، لـذا فحين انتصرُوا أراد أن يجعل من فتحه الحالي أعظم مِمَّا سَبَقَهُ، ومِمَّا غُـذِّيتْ بـه ثقافته على أَنَّهُ الأفضلُ، لذا فإنَّهُ بعد النَّفي العامِّ في الشَّطرِ الأَوَّلِ أتى بالتَّخصـيصِ لِهَاتين الغَزْوَتَيْنِ، وكأَنَّهُ دار في عقله سُؤَالٌ قائلًا حتَّي علَى غزوةِ بدرٍ وحُنين ؟؟

فأتتْ الإجابةُ في الشَّطرِ الَّذِي يَلِيْهِ:نَعَمْ لَقَدْ فَاقَهَمْ وأنسى حديثهم أيضًـا.فهذا الشَّكلُ التَّوظيفِي يُعدُّ مِنْ الأشكالِ التَّوظيفيَّةِ التَّاريخيَّةِ الْمُهِمَّةِ التي كثرت فـي هـذا الجانبِ.وعندما أبلى (تقي الدِّين عمر) ابن أخي السلطان صلاح الدين بلاءً حسنًا في موقعة الرَّهَا[2] **مدحه الأصفهاني** قائلًا: [3][بحر الوافر التام]

**مُلُوْكٌ أَصْبَحُوا خَيْرَ الْبَرَايَا لِخَيْرِ رَعِيَّةٍ فِي خَيْرِ دِيْنِ**

---

**(١) ديوان فتيان الشاغوري، (ص٣٥٨).**

**(٢) في يوم ٢٦ من جمادى الآخرة ٥٣٩ه/٢٣ من ديسمبر ١١٤٤م،استطاع عماد الدين زنكي تحرير الرها من الصليبيين وذلك أثر الضرب المركز الشديد الذي تعرضت لـه، فاجتاحـت قوات المسلمين المدينة، ثم ما لبثت القلعة أن استسلمت بعد يومين، وقام القس اليعقـوبي برصوما بإجراءات تسليم الرها لزنكي.**

**(٣) انظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي ،(١٦٩/٢)، وعيـون الروضـتين، لأبـي شـامة المقدسي (٤٦٧/٢)، والبرق الشامي، للعماد الأصفهاني (٤٩/٣).**

**بَنُو أَيُّوْبَ مِثْلُ قُرَيْشَ مجد وأنت لها كأنزعها البطين**

فالشَّاعرُ جعلَ توظيفَ الأحداثِ هُنَا تُحكى مِنْ خلالِ أبطالها، فبنو أيوب وعلى رأسهم صلاح الدين وتقي الدين، نسجُوا مَجدًا يُحاكي هذا اَلْمَجدَ الذي كان لبني قريش حين كانوا في العصر الجاهلي؛ من تحصيلِ المجدِ والسُّؤدَدِ والشَّرفِ والكَرَمِ، ومكارمِ الأخلاقِ، وصِيَانَةِ بيتِ الله الحرامِ وحِفْظِهِ، فكذا كان بنو أيوب أُسندتْ إليهم مُهمَّةُ الحفَاظِ على اَلْمَسْجِدِ الأقصى، فهذا التَّوظيفُ من بابِ تقريبِ اَلْمُتشابِهَاتِ التَّاريخيَّةِ، بهدفِ إضفاءِ صِفَةِ الخلودِ اَلْمَعنوي للممدوحين، من خلالِ تقريبِ خِلَالِهِمْ ومَحامِدِهِمْ بالسَّابقين الَّذين احتفظُوا لأنفسِهِمْ بِمكانَةٍ تاريخيَّةٍ عريقةٍ. **ومن أشكالِ توظيفِ الأحداثِ التَّاريخيَّةِ** قول أَبي عَليّ الْحسن بن عَليّ الْعِرَاقِيّ الْجُوَيْنِيّ:(١)[بحر الخفيف]

**إِنَّ هَذَا اَلْفَتْحَ اَلْمُبِيْنَ شِفَاءٌ لِصُدُوْرٍ وَقُرَّةِ اَلْمُؤْمِنِيْنَ**

**هُوَ يَوْمٌ أَضْحَى كَيَوْمِ حُنَيْن سَهَّلَ اللهُ نَصْرَهُ فِي اَلْحُزُوْن**

فالبيتُ الأوَّلُ مُوظَّفٌ من القرآن الكريم بشطريه، فالأوَّلُ من قوله تعالى: **﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾**(٢)، والثَّاني من قوله تعالى:**﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾**(٣)، ثُمَّ يأتي البيتُ الثَّاني ليجعلَ يومَ الانتصارِ مُشابِهًا ليوم حُنين في أنَّ الله – سبحانه وتعالى– هو اَلْمُتسبِّبُ فيه، وأنَّهُ جاءَ في وقتٍ حزينٍ، حيثُ يحتاجُ فيه الجميعُ إلى السَّعادةِ، وإلى الأَمَلِ، وذلك لا يتأتَّى إلا مِنْ خلالِ نَصرٍ قريبٍ، فسهَّلَهُ اللهُ وقَرَّبَهُ، لِذَا أَضْحَى يومُ حُنين قريبًا من هذا الفتحِ، حيثُ الظُّروفُ واَلْمُلابَسَاتُ اَلْمُحيطةُ بهِ مُشْتركَةٌ، ويبدُو من ذلك أنَّ التُّراثَ كانَ مادَّةً طيِّعَةً في يدِ الشَّاعرِ؛ يُشكِّلُها حَسْبَ عِدَّةِ عَوَامِلَ

---

**(١) انظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي (١٠٨/٢)، والبرق الشامي، للعماد الأصفهاني (١٧٣/٣)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٣٠/٣).**

**(٢) سورة الفتح ، الآية : ١.**

**(٣) سورة يونس، الآية :٥٧.**

تتمثَّلُ في تأثيرِ الحدَثِ على نِفْسِهِ، والظُّروفِ والْمُلابَساتِ الْمُحيطَةِ بالحدَثِ، والزَّوايةِ الَّتي يَرَى مِنْهَا الحدثَ ثُمَّ يختارُ الحدَثَ التَّاريخي الأقربَ إلي حَدَثِهِ.

ومن الإشاراتِ التَّاريخيَّةِ التي تجعلُ الْمُتلقِّي يرحلُ بِذِهْنِهِ بعيدًا لِيَقِفَ عَلَى معنَى الْحَدَثِ التَّاريخي الَّذِي وظَّفَهُ الشَّاعِرُ فِي نَصِّهِ، ومن ذلك **قَوْلُ الشَّاعِرِ ابن سناء الملك** في مدح القاضي الفاضل:(١)[بحر الخفيف التام]

**كَانَ قَلْبِي فِي مَأْتَمِ الْجُهْدِ مِنْهُ ... وَهُوَ الْيَوْمُ فِي ثَوَابِ الْجِهَادِ**
**خَلَّ عَنِّي فَمَا الْحَبِيْبِ حَبِيْبِي ... بَعْدَ شَيْبِي وَلَا الْبِلَادِ بِلَادِي**
**إِنَّ دَعْوَى هَوَايَ بَعْدَ مَشِيْبِ الرَّأْسِ ... عِنْدِي كَمِثْلِ دَعْوَى زِيَادِ**

فالشَّاعِرُ يُشيرُ هُنَا إلى حادثةِ زيادِ بن أبيه حين اُستلْحِقَ من ابن أبي سفيان، وأشار عليه معاوية في زمن خلافته أن يدَّعي بُنُوَّةَ أبي سفيان، فالشَّاعرُ هُنَا رَبَطَ بين حياته قبل مجيء الصَّليبيين وما بعدها، فالشَّاعرُ قبل قُدُومِ الصَّليبيين كان يَهْوَى ويعشقُ، وكان قلبُهُ مملوءٌ بالجهدِ النَّاتِجِ عَنْ كَثْرَةِ الْحُبِّ، أمَّا بعد مجيء الصَّليبيين فالشَّاعرُ استبدلَ العِشْقَ بِعِشْقٍ من نوعٍ خاصٍّ، وهو عِشْقُ الْجِهَادِ، ويبدو أنَّ الأمر لا يرجعُ فَضْلُهُ كُلُّه إلى الصَّليبيين، فلقدَ لَعِبَ الشَّيْبُ بدوره أيضًا، وما دامَ الأمرُ كذلك، فمَنْ يدَّعِي أنَّهُ غارقٌ في الهوى، كمثل دعوى زيادٍ؛ كلتا الدَّعوتين تَحملُ طِبَاعَ السُّخرية أكثر منها التَّصديقَ، وقد لعب الجناسُ النَّاقِصُ بين الجهدِ والجِهَادِ دورًا طريفًا علي الأبياتِ، ونَلْحَظُ في هذا البيتِ أمرين؛ **الأمرُ الأَوَّلُ**: ارتباطُ عَامَّةِ الشَّعب بالجِهَادِ واستبدالهُ بكُلِّ ما عَدَاهُ في الحياةِ حتَّي لو كان هَوَى مُتغَلْغِلًا في النَّفْسِ، **والأمرُ الثَّاني:** أنَّ الأحداثَ التَّاريخيَّةَ تلعبُ دورًا مُهمًّا في الشِّعرِ، حيثُ إنَّ الشَّاعرَ إذْ مَرَّ به موقفٌ استدعى من ذاكرته التاريخية موقفًا مُشابِهًا، ودَمَجَ بين الْمَوَاقِفِ في ربطٍ فنيٍّ بين الْمَاضِي والحاضِرِ يجعلُ هناك ثلاثيَّةً في البيتِ الشِّعري يكون التَّاريخُ بَطَلُهَا، وهي تتألَّفُ مِنْ الْمتلقِّي الشَّاردِ بِذِهْنِهِ في الحدَثِ التَّاريخي

(١) ديوان ابن سناء الملك، (ص١١١).

للرَّبْطِ بين اَلْمَوقفين، وبين الشَّاعِرِ اَلْمُستدعِي للحَـدَثِ التَّـاريخي وبـين اَلْموقِـفِ التَّاريخي ذاته، فكأنَّ استدعاءَ الأحْدَاثِ رَبْطٌ بين اَلْمَاضِي واَلْحَاضِرِ...ومن التَّوظيفِ التَّاريخي **قول ابن سناء الملك:**(١)[بحر الخفيف]

**لَيْسَ يَنْفَـــكُّ بَيْنَ فَتْكٍ وَفَتْحٍ حِيْنَ يَخْتَالُ بَيْنَ نَصْلٍ وَنَصْرِ**

**وَجْهُهُ اَلْبَرْدُ فِي اَلْحُرُوْبِ وَلَا تَعْ جَبُ إِذَا كَانَ يَوْمُهُ يَوْمَ بَدْرِ**

فَالْمُشابَهَةُ هي طريقُ توظيفِ هَذَا اَلْحَدَثِ التَّاريخِي، فالشَّاعِرُ رأى عَظَمَةَ هَذَا الانتصارِ، وأنَّهُ يُحاكي ويُشابِهُ يومَ بدرٍ، فقد أشرقتْ شَمْسُ هَذَا اليـومِ، وهـي تُشبُهُ يومَ بدرٍ، حيثُ كانت تشع دفئًا علي المجاهدين، تلوح بحرارتها عليهم فتكسبهم صلابة، وتمدُّ نفوسهم بالأمل، فقد تَشَابَهَ اليومان؛ مِنْ حَيْثُ رَوْعَةُ الانتصارِ، وفرحُ اَلْمُسلمون به، لذا ففِي تلك اللَّحظةِ التي أعْلِنَ فيها النَّصْرُ هَرْوَلَ اِبْنُ سَـنَاءِ اَلْمَلِـك مُعلنًا تَشَابُهَ اَلْحَدَثين، واقترابِ الغزوتين، فجعل يومَ بدرٍ يومًا خاصًّا، وكـأنَّ كُـلَّ انتصارٍ عظيمٍ هو بدرُ، ويبدُو أنَّ لِغَزْوَةَ بدرٍ مزاجٌ خاصٌّ لَدَى شُعَراءِ تلك الفَتْـرَةِ، فقد كانتْ أكثرُ الغَزَوَاتِ توظيفًا، حين يُشمِّرُ الرِّجَـالُ عـن سـواعدهم، ويعلنـوا انتصارهم، ويحرِّرُوا أرضهم، وقد كان ابن سناء الملك من ضِمْنِ هَؤلاءِ الشُّعراءِ.

ومن ذلك أيضًا **قولُ العِمَادِ الأصفهاني** يُشبِّهُ أصحابَ نور الـدين بأصـحابِ الرَّسُولِ –ﷺ – ويُشبِّهُ نَفْسَه بِحسَّان بن ثابت:(٢)[بحر الكامل التام]

**حَمَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ جُنُوْدِكَ فِتْيَةٌ لَمْ تَدْرِ غَيْـرَ حَمِيَّةِ اَلْفِتْيَانِ**

**هُمْ كَالصَّحَابَةِ يَوْمَ بَدْرٍ حَاوَلُوا نَصْرَ اَلَّتِي وَنَبَتْ عَنْ حَسَّانِ**

فأيُّ فَخْرٍ، وأيُّ انجازٍ، وأيُّ انتصارٍ ملموسٍ على أرضِ الواقِـعِ – كمـا نلحظُ مِمَّا سَبَقَ –يوجدُ بينه وبين غزوةِ بدرٍ علاقةٌ ومُناسبةٌ، هكذا خطَّ شُعَرَاءُ هَـذَا اَلْعَصْرِ طريقهم، فالتَّاريخُ الإسلاميُّ جُزْءَا منهم؛ لِذَا فإنَّهم يربطُون بينه وبين واقعهم اَلْمُعاصِرِ في مُعادَلَةٍ فنيَّةٍ رائعةٍ، تُجسِّدُ عِدَّةَ أمورٍ؛ أهمُّها أهميَّةُ التَّاريخِ الإسـلامي

---

**(١) ديوان ابن سناء الملك، (ص١٦٦)، وينظر: الوافي بالوفيات، للصفدي (٢١٤/٢٢).**

**(٢) ديوان العماد الأصفهاني، (ص١٤٨).**

لهؤلاءِ الْمُجاهدين، ثانيًا أنَّ غزَوَاتِ الرَّسُولِ – ﷺ – محفورةٌ في قلوبهم، فَهُمْ عندما نُكِبُوا بتلك النَّكبَةِ رَسَمُوا بداخلهم غزواتِ الرَّسُولِ ﷺ، وجعلوها مثلًا أعلى يُحتذَى، وبِمَا أنَّ غزوةَ بدرٍ هي أُولَى الغَزَوَاتِ، فَهُمْ جَسَّدُوْهَا وصَوَّرُوها كَمَا لَمِ يُجسِّدُوا غَزْوَةً، وكأنَّهم يَستنجِدُون بالرَّسُوْلِ – ﷺ – في خَلْقِ تِلْكَ الْمُشابَهَةِ بينهم وبين هَذَا الْعَصْرِ الذَّهَبِي، لِذَا لا نَسْتَغْرِبُ إِذْ وجدنا مِنْهُمْ استغراقًا في تلك الفترة أكثرَ مِمَّا عَدَاهَا.

ومن ذلك أنْ يجعلَ **ابن القيسراني** مِنْ مَدْحِهِ لِنُوْرِ الدِّينِ بعد فتحِ الحصُونِ، ومَقْتلِ البُرنُسِ وأسر جُوسلين، وهو من عُتَاةِ الإِجْرَامِ الصَّليبيين، وَفَتَحَ حُصُونًا عديدةً تذكرة بالحدَثِ التَّاريخِي الْجَلَلِ (الإِسْرَاءِ والْمِعْرَاجِ)، وكأنَّ الشُّعراءَ في تلك الفترةِ يتودَّدُون مِنْ كُلِّ ما يُقرِّبُهُمْ مِنْ عَصْرِ الرَّسُولِ ﷺ؛ استشفاعًا واستنجادًا بِهَذَا الْعَصْرِ وما حَوَاهُ مِنْ أَحْدَاثٍ تاريخيَّةٍ، فَنَجِدُهُ يقولُ:(١)[بحر الطويل]

**كَأَنِّي بِهَذَا الْعَزْمِ لَا فَلَّ حَدُّهُ ... وَأَقْصَاهُ بِالأَقْصَى وَقَدْ قُضِيَ الأَمْرُ**

**وَقَدْ أَصْبَحَ الْبَيْتُ الْمُقَدَّسُ طَاهِرًا ... وَلَيْسَ سِوَى جَارِي الدِّمَاءِ لَهُ طُهْرُ**

**وَقَدْ أَدَّتْ الْبِيْضُ الْحِدَادُ فُرُوْضَهَا ... فَلَاعُهْدَةً فِي عُنْقِ سَيْقٍ وَلَا نُذُرُ**

**وَإِنَّ تَتَمِيْمَ سَاحِلَ الْبَحْرِ مَالِكًا ... فَلَا عَجَبٍ أَنْ يَمْلُكَ السَّاحِلَ الْبَحْرُ**

**وَصَلَتْ بِمِعْرَاجِ النَّبِيِّ صَوَارِمُ ... مَسَاجِدِهَا شَفْعٌ وَسَاجِدُهَا وِتْرُ**

فكُلُّ تلك الانتصاراتِ إنَّما هي وسيلةٌ للوصُولِ للهَدَفِ الأسْمى، وهو تحريرُ البيتِ الأقصى، ولماذا؟ لأنَّهُ يحملُ قيمَةً تاريخيَّةً عظيمَةً، فهو معراجُ النَّبيِّ – ﷺ – لِذَا فإنَّهُ مِنْ البَدَهِي أنْ يُسارِعُوا إلى تحريرِهِ، وأنْ يجعلُوا مِنْ كُلِّ انتصاراتِهِمْ مُقدِّمَةً وتَمهيدًا للوصُولِ إليه وتطهيره من نَجَسِ الصَّليبيين، فيأتي دورُ الْحَدَثِ التَّاريخِي في

---

**(١) ديوان ابن القيسراني (ص١١٥)، وينظر: بيت المقدس في شعر الحروب الصَّليبيَّة، لعبد الجليل المهدي (ص١٨٣)، والروضتين، لأبي شامة المقدسي (٨٣/٢)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٢٤٩/١)، والكامل في التاريخ، لابن الأثير (٤٣/٥)، ومعجم الأدباء، لياقوت الحموي (٤٤٣/٢)،.**

القَصيدَةِ بِمَثَابَةِ المَفْتَاحِ الدَّافِعِ لِهؤلاءِ الْمُجاهدين كي ينطلقُوا ويُحرِّرُوا أقصاهُمْ – ومَا أَشْبَهَ اليومَ بالبَارِحَةِ – حتَّى أصبحَ هَذَا الحَدَثُ التَّاريخِي بِمَثَابَةِ إِعْلَانٍ لِشَحْذِ الْهِمَمِ، وبَوَّابَةً عظيمةً للانْجازَاتِ، لِذَا فَابْنِ القيسراني ينهجُ النَّهْجَ الَّذِي نَتْبَعُهُ حتَّى يومِنَا هَذَا في الْحَثِّ عَلَى تحريرِ الْقُدْسِ، مُوظِّفًا الْحَدَثَ التَّاريخيَّ في القصيدَةِ؛ لِيَفِي بِهَذَا الْغَرَضِ. ومنه أيضًا **قول ابن الدَّهَّان:** (١)[بحر البسيط]

**لَهُمْ بِيَوْمِ حُنَيْنٍ أُسْوَةٌ وَهُمْ خَيْرُ الْأَنَامِ وَفِيْهِمْ خَاتِمُ**

فابنُ الدَّهَّانِ يجعلُ الْمُجاهدين حَالِمين واضعين نُصْبَ أعينِهِمْ غَزوةَ حُنينَ، فهي قدوتُهم ومَرْسَى أَحْلَامِهِمْ أنْ يُحقِّقُوا انتصارَ مُشابِهًا لِهَذَا الَّذِي حكاه لهم أسلافُهُمْ عَنْ قُوَّةِ جَيْشِ الْمُسلمين وكثرتهم وانتصارهم بتأييدِ الله، فالشَّاعِرُ يُدَاعِبُ مَشَاعِرَ الْمُجاهدين، وينسجُ لَهُمْ مِنْ خُيُوطِ التَّاريخِ اِنْجَازَاتٍ وبُطُولاتٍ تُداعبُ أحلامَهُمْ، فيجعلُوهَا مَوْطِنَ قُدْوَتِهم وأحلامِهم، وكانتْ تِلْكَ طريقةَ ابنِ الدَّهانِ في توظيفه للحَدَثِ التَّاريخي.

ومن التَّوظيفِ التَّاريخِي أيضًا **قول أسامة بن منقذ:**(٢)[بحر الخفيف]

**وَيَقُوْلُ الْأَنَامُ: آدَمُ قَدْ عَا دَ إِلَى الْخُلْدِ إِنَّ ذَا لَعَجِيْبُ**

**فَحَيَاتِي وَإِنْ بَلَغْتُ بِهِ الْمَأْ مُوْلُ فِي غَيْرِ ظِلِّهِ لَا تَطِيْبُ**

فالشَّاعِرُ يذكرُ قصةَ سيدنا آدمَ؛ كي يستدلَّ بها على الاستحالَةِ، فالتَّاريخُ هُنَا مُوظَّفٌ بصفَتِهِ وَصْفًا لحالةٍ استحاليَّةٍ، فهل يعودُ آدم إلى الخُلْدِ: هَذَا مُحالٌ، وكَذَا الشَّاعِرُ حياته في ظلِّ غِيَابِ مَدْوُحِهِ، فالاستدلالُ التَّاريخي هُنَا يأتي للدَّلالَةِ عَلَى استحالَةِ الشَّيءِ، وهذا وإنْ دلَّ فإنَّهُ يدلُّ على الثَّراءِ التَّاريخِي الَّذِي كان يُحفِّزُ الشُّعراءَ؛ لِيَكُونَ التَّاريخُ حاضرًا في أَذْهَانِهِمْ، بِحيثُ يستطيعونُ أنْ يُعبِّرُوا عَنْهُ في

---

(١) ديوان ابن الدهان، جمع وتحقيق: عبد الله الجبوري، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٨م، (ص١٠٨).

(٢) ديوان أسامة بن منقذ، (ص١٩٦).

مُختلَفِ الْمَوَاقِف...ومن ذلك الاستدلال التاريخي بالقصص القرآني من مثل **قول ابن النبيه المصري:** [1][بحر الطويل]

**مَلِيْكٌ، مُلُوْكُ الأَرْضِ تَحْتَ لِوَائِهِ ... فَكُلُّهُمْ عَانٍ وكُلٌّ لَهُ عَانِ**
**فَكِسْرَى بِإِيْوَانٍ تَعَاظَمَ مُلْكُهُ ... وَشَاهُ أَرْمَنَ مِنْ بَعْضِ أَسْرَاهُ إِيْوَانِي**
**وَعَاجَ بِذِي الْقَرْنَيْنِ مُنْخَرِطًا إِلَى ... ذُرَى خَيْرِ حِصْنٍ مَا بَنَى مِثْلَهُ بَانِي**
**قَلِاعٌ عَلَى النِّسْرَيْنِ خَطَّ أَسَاسَهَا ... عُلُوًّا فَقَرْنُ الْشَّمْسِ مِنْ دُوْنِهِ دَانِي**
**مَنَازِلَ لِلْبَدْرِ الْمُنِيْرِ يَحُلُّهَا ... بِطَالِعِ سَعْدٍ لَا بِحُمْقٍ وَنُقْصَانِ**
**سَيَمْلُكُ قُسْطَنْطِيْنِيَّةَ الرُّوْمُ عُنْوَةً ... وَيَخْطُبُ عَنْ قُرْبٍ لَهُ فِي خُرَاسَانِ**

ومنه أيضًا الإشارةُ إلي الحَدَثِ التَّاريخِي، ولكنَّهُ يُحسبُ علي القَصَصِ القُرْآنِي التَّاريخِي؛ لأنَّ الشَّاعِرَ وَظَّفَ أَلْفَاظًا بِذَاتِها، ولكنَّهُ يُشيرُ من وَرَائِهَا إلى الحَدَثِ التَّاريخي، فمِنْ ذلك **قول فتيان الشاغوري:**[2][بحر الطويل]

**هَنِيْئًا لَقَدْ أُوْتِيْتَ سُؤْلَكَ يَامُوْسَى ... بِجِدٍّ وَحَدَ كَلِمَةَ الدَّهْرِ مَا يُوسِى**
**وَجَيْشٌ لِهَامِ حَلْقِ الطَّيْرِ فَوْقَهُ ... سَتَضْحَى لَكُمْ أَحْشَاؤُهُنَّ نَوَاوِيْسَا**
**وَرَمِي سِهَامٍ عَنْ قَسِيٍّ بِنَبْضِهَا ... تُغَادِرُ مَنْ رَامَتْهُ فِي التُّرْبِ مَرْمُوْسَا**
**إِذَا الْعَرَبُ الشُّمُّ الأُنُوْفُ تَنَمَّرُوا ... بِهِ كَانَ بِالمُثَقَّفِ دَعِيْسَا**
**وَلَيْسَ لِمُوسَى مِنْ عَصَا غَيرُ صَارِمٍ ... تَكُبُّ عَلَى الأَذْقَانِ ضَرَبَاتُهُ الرُّوْسَا**

فالشَّاعرُ قالَ القَصِيْدَةَ، وهو في طريقِهِ للنُّزولِ مِنْ عَلَى جبلِ طُورِ لِمُقَابَلَةِ الأعداءِ، ويبدُو أنَّ الْمَوْقفَ استدعى قِصَّةَ سيدنا موسى، فذكرَهَا وَوَظَّفَهَا، وكأنَّهُ عَاشَ الْحَالَةَ الاستدعائيَّةَ للمَوْقِفِ، فعبَّرَ عَنْ القِصَّةِ بِمُقتضياتِهَا، والشَّاعِرُ هُنَا لَمْ يَكْتَفِ بِهَذَا التَّوظيفِ، فمِنْ القَصِيْدَةِ نَفْسِهَا قال:

**هُوَ الْبَحْرُ لَوْلَا الْبَحْرُ فِيْهِ مُلُوْحَةٌ ... هُوَ اللَّيْثُ لَوْلَا أَنَّ فِي اللَّيْثِ تَعْبِيْسَا**

---

(١) ديوان ابن النبيه، (ص١٩).

(٢) ديوان فتيان الشاغوري، (ص٤٠٠).

هُوَ اَلْخُضْرُ اَلْمَشْهُوْرُ نَشْرًا وَسُـؤْدَدًا وَيُوْسُفُ حُسْنًا وَأَلَق مُوْسَى تَجِدْ مُوْسَا
وَيَحْمَـدُهُ عِيْسَـى عَلَـى فَتَكَاتِـهِ بِجَحْفَلِـهِ فِـي أُمَّـةٍ عَبَـدَتْ عِيْسَـى
وَمَا زَالَ يَرْضَى اللهُ سِـرًّا وَجَهْـرَةً وَيَسْخُطُ فِـي كُـلِّ اَلْمَـوَاطِنِ إِبْلِيْسَـا

فالشَّاعِرُ هُنَا أكملَ القَصَّ التَّاريخِي، بذكرِ الخُضْرِ الَّذِي ذكره القرآنُ الكريمُ، وذلك تشبيهًا لَهُ بممدوحِهِ، ثُمَّ مَزَجَ بين الحدَثِ التَّاريخِي والشَّخصيَّاتِ التَّاريخيَّـةِ، فقالَ على سبيلِ اَلْمَدْحِ لِممدوحه أنَّهُ يوسف– عليه السلام – في الحُسْنِ، وأنَّه مُوسَى – عليه السلام – في التَّوكُّلِ علي الله، فالشَّاعرُ حاولَ أَنْ يَرْسُمَ لِممدُوحِهِ صُوْرَةً لَمْ يُرى عليها أحدٌ مِنْ البَشَرِ، فَحَشَدَ الشَّخصيَّاتِ التَّاريخيَّةِ والأحْدَاثِ التَّاريخية، ولَمْ يتـركْ القصـيدةَ تنتهي إلَّا وأعادَ التَّوظيفَ مَرةً أُخْرَى فقال:

هُوَ اَلأَسَدُ اَلحَامِي اَلْحَقِيْقَـةِ مُقْـدِمًا وَمَنْ ذَا يَرُدُّ اللَّيْثَ عَـنْ مَنْعِـهِ اَلْخِيْسَـا
عَلَى الطُّورِ نَاجَى اللهُ مُوْسَى بِنَصْرِهِ فَبِالطُّورِ ثَغْرُ السِّـلْمِ أَصْـبَحَ مَحْرُوْسَـا
عِمَارَتُـهُ تَخْرِيْـبُ أَعْمَـارِ عَابِـدِي الصَّلَيْبِ وَفِيْهِ أُسِّـسَ النَّصْـرَ تَأْسِيْسَـا
وَرَدَّ إِلَـى اَلإِسْـلَامِ صُـوْرًا وَعَكَّـةَ وَسَـائِرَ مُـدُنِ اَلْمُشْـرِكِين وتَفْلِيْسَـا
إِذَا كَـانَ دِيْـنُ المسـلمين مُؤَيِّـدًا بموسـى وعيسـى زادَهُ الله نَامُوْسَـا
فَلَا بَرِحَا فِي اَلْمُلْكِ لِلدِّين مَـا وَشَـى صَبَاحٌ وَمَا وَشَـي اليَـرَاعُ القَـرَاطِيْسَ

ومِنْ اَلْمَزْجِ بين الشَّخصيَّاتِ التَّاريخيَّة والأحـداثِ التَّاريخيَّـةِ أيضًـا قـولُ الشَّاعِرِ:(١)

[بحر الكامل التام]

طَبَّ بِأَحْكَـامِ الشَّـرِيْعَةِ فَـارِسٌ فِي حَوْمَتِي نَـصٌّ وَحُسْـنِ قِيَـاسِ
مِـنْ دَوْحَـةٍ قُرشِـيَّةٍ أُمُويَّـةٍ فِي سِـرَّةِ البَطْحَـاءِ ذَاتُ عِـرَاسِ
فكـأنَ عافِيَـةَ زُهَيْـرٍ مَادِحًـا هَرِمًـا فَحَـادَ بِـهِ عَـنْ الإِفْلَـاسِ
مَا دَامَ مَاءٌ فِي يَزِيْدَ وَفِـي ثَـرَي ثورا وفي بَـرَدَى وفِـي بَانَـاسِ

(١) ديوان فتيان الشاغوري،(ص٣٩١).

هَنَيــتَ عَامًــا أَقْبَلَــتْ أَوْقَاتُــه ووجوهًــا بــالنُّورِ مِنْــكَ كَوَاسِــي
مِثْلُ اَلْمَصَاحِفِ زُيِّنَــتْ أَوْرَاقُهَــا بُطــولاةِ الأَعْشَــارِ وَالأَخْمَــاسِ

فقولُهُ (قُرُشِيَّةٌ – أُمَوِيَّةٌ) إشارةٌ إلى حِقْبَةٍ زمنيَّةٍ مُعيَّنَةٍ، فكلمةُ قُرشيَّةٌ تُشيرُ إلى العَصْرِ الجاهلي، وكذا كلمةُ (أُمويَّةُ) تُشيرُ إلى حِقْبَةِ الدَّولَةِ الأُمُويَّةِ، ثُمَّ أعقــبَ ذَلِكَ بِذِكْرِ شَخْصِيَّاتٍ تاريخيَّةٍ، حيثُ ذَكَرَ مَدْحَ زُهَيْرِ بن أبــي سُــلْمى مــن بــاب الاستشهادِ، فالْمَزْجُ بين الشَّخصيَّاتِ التَّاريخيَّةِ، والحِقَبُ الزَّمَنِيَّةُ يُبيِّنُ لَنَا مَدَى تَغَلْــلُ التَّاريخِ في البِنَاءِ الفَنِّي للقصيدةِ، وأنَّ التَّفكُّرَ في التَّاريخِ قضيةٌ شَغَلَتْ الشَّاعِرَ، فَهُوَ يُوظِفُهُ مِنْ أَجْلِ الاسْتِئْنَاسِ بِهِ أَحْيَانًا، ومِنْ أَجْلِ اِلاسْتِشْهَادِ بِهِ في أَحْيَانٍ كثيرةٍ، وقد يُوظِّفُهُ مِنْ أَجْلِ مُعالَجَةِ أَهَمِّ قَضِيَّةٍ شُغِلَ بِهَا؛ وَهِــيَ قَضِــيَّةُ اَلْجِهَــادِ، فــالتَّوظيفُ التَّاريخيّ اختلفَ حَسْبَ الرُّؤَى اَلْمُختلِفَةِ للشُّعَرَاءِ.

## الخاتمة

**اَلْحَمْدُ للهِ وكفَى، وَالصَّلَاةُ والسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّهِ اَلَّذِي اِصْطَفَى، وَبَعْدُ:**

**فَقَدْ عِشْنَا خِلَالَ هَذَا تلك الرحلة القصيرة مَعَ ظَاهِرَةِ التاريخ فِي شِعْرِ اَلْحُرُوْبِ الصَّلِيبِيَّةِ، ، وَيُمْكِنُنَا اِسْتِخْلَاصَ أَهَمِّ النَّتَائِجِ اَلَّتِي تَوَصَّلَ إِلَيْهَا اَلْبَحْثُ فِيْمَا يَأْتِي:**

**أوَّلا:** الشِّعْرِ اَلْجِهَادِي قد ارتبط بِالحَيَاةِ بِشَكْلٍ عَامٍّ في هَذَا العَصْرِ، فَقَدْ كَانَ اَلْمُعَوَّلَ اَلَّذِي يعتقِدُون فيه النَّجَاةَ والخَلاصَ، إِمَّا مِنْ خِلَالِ تَوْظِيْفِهِمْ للتاريخ؛ هَرَبًا مِنْ وَاقِعِهِمْ اَلْمُؤْلِمِ أَوْ مِنْ خِلَالِ رُؤْيَتِهِمْ لِلْمَاضِي وَاسْتِلْهَامِ العِبَرِ.

**ثانيًا:** أَدَّتْ ظَاهِرَةُ تَوْظِيْفِ التُّرَاثِ التَّارِيْخِي في الشِّعْرِ دَوْرًا مَوْضُوْعِيًّا بَلْ في بَعْضِ الأَحْيَانِ كَانَتْ أَدَاةً جِهَادِيَّةً مَعَ هَؤُلاءِ اَلْمُحَارِبِينَ.

**ثالثًا:** تَعَدَّدُ رَوَافِدِ التُّرَاثِ التَّارِيْخِي في شِعْرِ الحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أنَّ تِلْكَ الظَّاهِرَةَ مُتَأَصِّلَةٌ في شِعْرِ الحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ.

وأنَّ مَنْ يَتَتَبَّعُ شِعْرَهُمْ يَجِدْ أَنَّهُمْ اَتَّخَذُوا مِنْ التَّارِيْخِ وِجْهَتَيْنِ: **أُوْلَاهُمَا:** عِبْرَةٌ لِقَوْمِهِمْ لِلْعِظَةِ وَالاعْتِبَارِ. **وَثَانِيْهُمَا:** نَعْيُ لَحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَسْتَفِيقُونَ، وَيُوَاجِهُونَ اَلْمُعْتَدِي اَلْغَاشِمَ، وتَصْوِيْرُهُمْ لِلتَّارِيْخِ هُوَ رِسَالَةٌ لِلْمُحْتَلِّ؛ بِأَنَّ هَؤُلاءِ القَوْمَ لَيْسُوا إِلَّا في غَفْوَةٍ يُصَاحِبُهَا صَحْوَةٌ، وَتَارِيْخُهُمْ يَشْهَدُ بِذَلِكَ، فَوَظَّفُوا التَّارِيْخَ وَطَوَّعُوْهُ؛ لِيُبَيِّنُوا لِقَوْمِهِمْ وِلِمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ تِلْكَ اَلْحَقَائِقَ الدَّامِغَةَ، وَلِيُؤَكِّدَ لِلْجَمِيْعِ أَنَّ التَّارِيخَ يُمْكِنُ أَنْ يُعِيْدَ نَفْسَهُ.

**فالتَّاريخَ كان واسعَ الأُفُق أمامَ الشَّعَرَاءِ، حَيْثُ كانَ التَّاريخُ بالنِّسبَةِ للشُّعَرَاءِ مادَّةً مَرِنَةً سهلةً رَخْوَةً ينهلُ منها الشُّعَراءُ، ويُوظِّفُون منه ما يتوافَقُ ومُعَالَجتهم، وقد يُوظِّفُ الشَّاعِرُ الحَدَثَ كاملًا، وقد يكتفي بالإشَارَةِ إليه، وقد كانَ التَّاريخُ بالنِّسبَةِ لهم مُجبيًا، فوظّفُوا التَّاريخَ الإسلاميَّ بكافَّةِ صُوَرِهِ وأشكَالِه، وكذا الوضعُ مَعَ التَّاريخِ العالميِّ، ويبدُو أنَّ طبيعةَ اَلْمَرْحَلَةِ التي عَاشُوْهَا هِيَ التي فَرَضَتْ عليهم هَذَا التَّنَوُّعَ التَّاريخيَّ، ليستطيعوا أنْ يستشهدُوا عَلَى تكرارِ حِقَبِ التَّاريخِ؛**

لِبَثِّ الأَمَلِ في نُفُوسِ مُجاهدي الأُمَّةِ، فَقَدْ اتَّخذُوا التّاريخَ أداةً مُساعدةً في مُعالَجَةِ قَضَايَاهُمْ؛ من بَثِّ رُوْحِ الوُحْدَةِ الإسلاميَّةِ لَدَى الأُمَرَاءِ، ومِنْ تقويَــةِ أواصِــرِهِمْ، وتذكريهم بأَمْجَادِ اَلْخِلَافَةِ الإسلاميّةِ، وخاصَّةً فِي عَهْدِ سيدنا عمر بــن الخطــاب ﷺ؛.....

*****

## المصادر والمراجع


١. **خريدة القصر وجريدة العصر**، (شعراء الشام، ومصر، والمغرب والأندلس)، لعماد الدين الأصفهاني، تحقيق: شكري فيصل(الشام)، أحمد أمين، إحسان عباس، شوقي ضيف (مصر)، محمد المرزوقي، محمد العروسي المطوي (المغرب والأندلس )، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٥٥- ١٩٦٨م (الشام)، دار الكتب المصرية ٢٠٠٥م مصورة عن نشرة ١٩٥١م (مصر) ، الدار التونسية للنشر - ١٩٨٦م ( المغرب والأندلس ).

٢. **عيون الروضتين**، لأبي شامة المقدسي، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ٢٠١٢م.

٣. **ديوان العماد الأصبهاني**، جمعه وحققه: ناظم رشيد، وزارة الأوقاف، الموصل، ١٩٨٣م

٤. . **صلاح الدين الأيبوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية**، لمحمد علي الصَّلاَّبي، دار المعرفة، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٥. **ديوان ابن القيسراني**، جمع وتحقيق ودراسة: عادل جابر صالح، الوكالة العربية للتوزيع، الأردن، ١٩٩١م

٦. **ديوان ابن الساعاتي**، تحقيق:أنيس المقدسي، منشورات كلية الآداب، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٣٨م

٧. **بيت المقدس في شعر الحروب الصليبية**، لعبدالجليل حسن المهدي، دار البشير للنشر عمان، الأردن، ١٩٨٩م

٨. **ديوان ابن سناء الملك**، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، وحسين محمد نصار، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د.ت.

٩. **ديوان العماد الأصبهاني**، جمعه وحققه: ناظم رشيد، وزارة الأوقاف، الموصل، ١٩٨٣م.

١٠. **ديوان ابن منير الطرابلسي**، تقديم: عمر عبد السلام تدمري، دار الجيل، بيروت، د.ت.
١١. **ديوان فتيان الشاغوري**، تحقيق: أحمد النجدي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٧٦م.
١٢. **ديوان ابن النبيه المصري**، شرح:عبد الله فكري، المطبعة العلمية، القاهرة، ١٣١٣ه.
١٣. **الوافي بالوفيات**، للصفدي، تخقيق: أحمد الأرنؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م.
١٤. **الكامل في التاريخ**، لابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٧م.
١٥. **ديوان، أسامة بن منقذ**، تحقيق د. أحمد بدوي، وحامد عبدالحميد، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م.
١٦. القيمة الفنية لتوظيف التراث الديني والتاريخي في شعر الصليبية العدد ٣ ديسمبر ٢٠٢٣ مجلة كلية اللغة العربية بجرجا
١٧. لسان العرب، ابن منظور ، دار الفكر، (٢/٢٠٠-٢٠١).مادة (ورث).
١٨. القاموس المحيط، للفيروز آبادي، دار الفكر، بيروت، (١/١٦) مادة (ورث).
١٩. :شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لابن الأنباري، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، (ص٤٠٦)، وتاريخ الأدب الجاهلي، لعلي الجندي، دار التراث، القاهرة (معلقة عمرو بن كلثوم) (ص١٢٣).

*****

# فهرس الموضوعات


| م | الموضوع | الصفحة |
|---|---|---|
| ١- | ملخص | ٩٤٦ |
| ٢- | Abstract | ٩٤٧ |
| ٣- | مقدمة | ٩٤٨ |
| ٤- | التَوْطِئَةُ | ٩٥٧ |
| ٥- | عَوَامِلُ تَوْظِيفِ الْأَحْدَاثِ التَّارِيخِيَّةِ فِي الشِّعْرِ: | ٩٥٧ |
| ٦- | رَوَافِدُ الْأَحْدَاثِ التَّارِيخِيَّةِ فِي شِعْرِ الْحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ: | ٩٦١ |
| ٧- | الخاتمة | ٩٧٩ |
| ٨- | المصادر والمراجع | ٩٨١ |
| ٩- | فهرس الموضوعات | ٩٨٣ |


تمت بحمد الله